جامعة 20 أوت1955-سكيكدة
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية-شعبة التاريخ

دراسات في التاريخ الوسيط

(لطلبة السنة الثانية تاريخ نظام ل م د جديد)

د.محمد قويسم

العام الجامعي1436-1437هـ/ 2015-2016

مقدمة:

إن دراسة التاريخ الجزئي يتطلب تخصيص مقال أو محاضرة لكل موضوع حتى يتسنى التفصيل في الأحداث والوقائع التاريخية والأشخاص الذين صنعوا هذه الأحداث،لذلك وضعت هذه المجموعة من الدراسات غير المنشورة في التاريخ الإسلامي الوسيط

وتكمن أهمية هذه المقالات التاريخية فيما يلي:

أ-تغطية أجزاء من البرامج الدراسية: لكل طلبة التاريخ في التدرج وما بعد التدرج ،في مرحلتي الإجازة والماستر وما بعدهما درجة الدكتوراه،حيث تعتبر جزء من برنامج السنة الثانية تاريخ إجازة نظام ل م د الجديد كمايلي:

السداسي: الثالث

عنوان الوحدة : التعليم الأساسية 01

المادة: صدر الإسلام والدولة الأموية

البرنامج :

- مصادر دراسة تاريخ العرب قبل وفي الإسلام
- المجتمع العربي قبل الدعوة الإسلامية
- الدعوة الإسلامية و السيرة النبوية و بناء الدولة الإسلامية
- تطور المجتمع في العهد الراشدي
- قيام الخلافة الأموية ونظام الحكم
- الفتوحات الإسلامية في الشرق و الغرب
- التنظيمات الإدارية و الاقتصادية
- الحياة الثقافية في العهد الأموي
- نشأة العلوم عند المسلمين وتطورها
- الترجمة في العصر الأموي
- مؤسسة بيت الحكمة في العصر العباسي ودورها في حركة الترجمة
- كبار مترجمي العصرين الأموي والعباسي
- انتقال العلوم إلى الغرب الإسلامي ودور طليطلة وصقلية في نقلها إلى أوربا

- 1- علوم العقل و التجريب:
- الرياضيات و الحساب
- الهندسة
- الميكانيكا
- الطب و الصيدلة وعلم البصريات و التشريح
- علم الفلاحة
- علم الفلك وصناعة آلات الرصد الفلكي
- الكيمياء
- الصناعات (صناعة النسيج – صناعة الارحاء – صناعة الورق – صناعة المكاييل و الموازين)
- الفلسفة و المنطق
- 2 –العلوم النقلية :
- العلوم الشرعية
- علوم المجتمع والإنسان
- الجغرافيا – التاريخ –الأدب .....

ومادة تاريخ العلوم ضمن الوحدة الاستكشافية في السداسي الثالث

السداسي: الرابع

عنوان الوحدة : التعليم الأساسية 01

المادة: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

البرنامج :

- أوضاع بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي
- عصر الولاة
- قيام الدول الإقليمية: الأغالبة – الرستميون - الأدارسة -الدولة الأموية في الأندلس – عصر ملوك الطوائف -الفاطميون - الزيريون - الحماديون - المرابطون – الموحدون – الحفصيون – الزيانيون – المرينيون - دولة بني الأحمر
- الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الإسلامي
- الحياة الثقافية و الفكرية في المغرب الإسلامي

- العمارة و الفنون في المغرب الإسلامي

-الحضارة الإسلامية في الأندلس

-الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الأندلس

-العمارة والفنون

-سقوط الأندلس

ب-توضح مواضيع هامة غير مدروسة:مواضيع هذه المحاضرات أو المقالات تعالج مواضيع غير موسعة في الكتب التاريخية التجارية وحتى الأكاديمية، وفي المصادر التاريخية معلومات موزعة ومشتتة بين عشرات المصادر التاريخية المتنوعة بعضها مطبوع والبعض الآخر مازال مخطوط.

ج-الاهتمام بتاريخ المغرب الأوسط: من الضروري الاهتمام بكل التاريخ،لكن يجب التركيز على تاريخ المغرب الأوسط(الجزائر) الذي كثيرا أهمل لأسباب كثيرة

وهذه الدراسات مرتبة تلقائيا لأنها مواضيع متنوعة وغير مرتبطة بالإطار الزمني ولا الإطار الجغرافي حيث شملت بلاد المغرب الإسلامي و بلاد المشرق، ومتنوعة في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وهي على التوالي:

1-الطب والصيدلة في مدينة قلعة بني حماد.

2-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في منطقة تلمسان.

3-أسباب سقوط الأندلس(غرناطة)897هـ/1492م.

4-أوجه صرف الموارد المالية الحفصية.

5-منطقة سطيف في كتب الرحلة الجغرافية في العصر الوسيط.

6-مؤسسة البريد ودورها الأمني عند المسلمين في العصر الوسيط.

7- منطقة سكيكدة في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب خلال العصر الوسيط.

8- عصر إمرة الأمراء وأثرها على الدولة العباسية(324-334هـ/935-945م)

.

9- فقه النوازل وتكريس الشرعية السياسية بالمغرب الأوسط .

واستخدمت في انجاز هذه المقالات عدة مناهج هي المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهج الاستنتاجي والمنهج الرياضي والمنهج الاستدلالي والمنهج المقارن، وهذا بغية تحليل الأحداث والربط بينها في الماضي والحاضر والوصول إلى نتائج علمية دقيقة ،كما إنني تعمدت تنويع طرائق الحواشي في أسفل النص أو نهاية المقال أو طريقة جمعية علم النفس الأمريكية (American psychological Association) بغية زيادة فائدة الطلبة في هذا المجال.

واستخدمت في انجاز هذه المقالات مئات المصادر المتنوعة في التراجم والطبقات والرحلة والجغرافيا والفقه والحديث والتفسير والنوازل والحسبة ومصادر التاريخ العام والخاصة بالبلدان والدول،ونفس الشيء فيما يخص المراجع المتخصصة والمقالات والموسوعات والاطاريح الأكاديمية باللغة العربية وباللغات الأجنبية.

وعند انجاز هذه المقالات واجهتني عدة صعوبات هي:

أ-**تشتت المادة العلمية:**إن المعلومات الواردة في هذه المحاضرات موجودة في عشرات المصادر المتنوعة تاريخ،طبقات وتراجم،رحلات وجغرافية، فقه ونوازل.

ب- قلة المصادر التاريخية في المكتبات: رغم وفرة الكتب الالكترونية إلا أن الكتاب الورقي مهم أكثر للباحث يتصفحه عدة مرات دون الحاجة إلى جهاز حاسوب وانترنت وطاقة كهربائية.

وأخيرا أتوجه بالشكر إلى الأساتذة والباحثين الذين ساعدوني في انجاز هذه المطبوعة ومراجعتها لغويا ومنهجيا الدكتور جمال بن زروق ، محمد السعيد قاصري، الأستاذ حسين زروال، فيصل مبرك، بهلول هشام وموظفي المكتبات في جامعة سكيكدة وجامعة المسيلة وجامعة الجزائر.

1-الطب والصيدلة في مدينة قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط(الجزائر) (398-547هـ/1007-1169م)

مقدمة:

من مفارقات الزمن أن الموسوعة العربية العالمية لم تذكر قلعة بني حماد في مادة قلعة وذكرت فقط قلعة بني راشد من قلاع الجزائر، ونفس الشيء الموسوعات الأجنبية الأخرى، وفي شان الطب الأمر أصعب لا يذكر إلا ابن سينا و الزهراوي ... وباحتشام، بل أن ملصقة اشهارية للصيدلية الجزائرية تقول أن أول طبيب جزائري هو محمد بن العربي(1850-1938) ؟ ([1])

وقلعة بني حماد شهدت تطور حضاري في كل المجالات العلمية منها الطب والصيدلة طيلة أكثر من قرن ونصف (398-547هـ/1007-1169م) وشكلت إشعاعا حضاريا استمر لقرون(بعد دمارها وسقوطها) على يد علماء في شتى العلوم النقلية والعقلية منها الطب والصيدلة[2].

1-مظاهر تطور الطب:

ومن مظاهر تطور الطب في مدينة قلعة بني حماد هو بروز عدة أطباء كبار منهم:

- **الطبيب الأول:** أبو جعفر عمر بن علي البذوخ: المعروف ابن البذوخ القلعي المغربي ولد في مدينة قلعة بني حماد عام (472هـ/1094م) في عهد المنصور

---

[1])الموسوعة العربية العالمية ،الرياض المملكة العربية السعودية،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية ،ط2 ،1999،ج1، ص 290 -291، جيرار جهامي: موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب، مكتبة لبنان 1999، خالد حربي: الأسس الابستومولوجيا لتاريخ الطب العربي، رؤية معرفية في تاريخ الحضارات ، الإسكندرية، دار الثقافة العلمية (د ت)، ماهر عبد القادر محمد: دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية 1996.

[2] رشيد بورويبة:الدولة الحمادية،تاريخها وحضارتها، الجزائر وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007،ص، إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1980،ص227 وما بعدها

الحمادي لذلك قيل القلعي والمغربي نسبة إلى بلاد المغرب ككل([3])، وتعلم ونشا بها حيث تعلم القرآن علي يد أبي عبد الله الغديري([4]) في مدينة قلعة بني حماد ثم هاجر إلى دمشق حوالي 511هـ/1136م وأقام بها طويلا حتى وفاته، و كان فاضلا خبيرا بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة وله حسن نظر في الإطلاع على الأمراض ،وكانت له دكان عطر بسوق اللبادين([5]) كان يجلس فيه ويعالج من يأتي إليه أو يستو صف منه وكان يهيئ عنده أدوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والأقراص و السفوفات وغير ذلك يبيع منها وينتفع الناس بها([6])

وكان معتنيا أيضا بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الأمراض ومداواتها وله عدة كتب لا تزال مخطوطة حسب قول المرحوم عمار هلال([7]) هي:

---

[3]) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت 1956 ،ص628، الصفدي صلاح الدين: نكث الهميان في نكت العميان، القاهرة، نشر أحمد زكي بك ، 1911، ص486-487 ،عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، القاهرة ،دار الصحوة للنشر والتوزيع ، المنصورة ،مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002،ص270.

[4])الغدير: قرية تبعد ثمانية أميال شرق مدينة قلعة أبي الطويل أو قلعة بني حماد، و الغديري هو أحد علماء القلعة الصالحين الورعين العفيفين كان يؤدب الصبيان ويخيط بأجرة وما يحصل له يتقوت بالقليل منه ويتصدق بالباقي ،أنظر الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن هولندة، مطبعة بريل 1863،ص92، أحمد بن محمد أبو رزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد ،وزارة الثقافة طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007،ص255-259.

[5]) اللبادين نسبة إلى عمل اللبود من الصوف وهي معاطف طويلة و اللبادين سوق من أسواق دمشق وباب أيضا من أبوابها, أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان, بيروت دار صادر, 1964 ,ج5 ،ص10 ,ابن كثير: البداية والنهاية ، تحقيق أحمد أبو ملحم، بيروت دار الكتب العلمية, 1985 ،ج14،ص136 .

[6]) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ،ص628، الصفدي صلاح الدين: المصدر السابق، ص220،عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية,1983، ص362،عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

[7])ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق،ص628، خير الدين الزركلي: الأعلام ، بيروت ،دار العلم للملايين ،1984، ج5، ص 215، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، القاهرة دار الفكر 1982،ج1، ص784،عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية بين القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين(ق13-14م) الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية، 1995،ص234.

- حواش على كتاب القانون لابن سينا ،ذكر أيضا بإسم صدق العيون في تنقيح العيون([8]).
- شرح الفصول لابوقراط في أرجوزة([9]).
- شرح كتاب مقدمة المعرفة لابوقراط في أرجوزة ، مما يعني أنه أول شارح لهذا الكتاب قبل ابن النفيس(607-687هـ/1210-1288هـ) بنحو 112 سنة([10]).
- كتاب ذخيرة الألباء في الباءة([11]).
- لطائف الأنوار في الطب([12]).
- المفرد في التأليف عن الأشباه([13]).

ومما سبق يتضح أن ابن البذوخ خاض غمار التأليف المتنوع مثل بقية الأطباء الفطاحل نحو السجزي (ق5هـ/11م) تلميذ ابن سينا الذي ألف كتاب شرح كتاب الفصول لابوقراط والطبيب وعالم النبات المشهور عبد الله ابن

---

[8]) بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، الجزائر (د ت)، ج 3 ، ص211، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

[9]) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق،ص628، الصفدي صلاح الدين: المصدر السابق،ص220،خيرالزركلي: المرجع السابق ،ج5 ،ص215،إسماعيل البغدادي: هدية العارفين. . . ،ج1,ص784، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

[10]) أحمد بن محمد أبو رزاق: المرجع السابق، ص258-259، عمار هلال: المرجع السابق، ص234، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

[11]) الصفدي صلاح الدين: المصدر السابق،ص220،رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1988, ص278، هيكل نعمة الله و إلياس مليحة: موسوعة علماء الطب، بيروت ،دار الكتب العلمية ، ط1، 1991، ص62، 213، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

[12]) بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري : المرجع السابق ، ج2، ص236،إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ،القاهرة ،دار الفكر 1982، ج1،ص541 حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت، دار الكتب العلمية 1992،ج2 ،ص403رقم،1552، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

[13]) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ج1 ص628، الصفدي صلاح الدين: المصدر السابق،ص220، الذهبي: تاريخ الإسلام ، تحقيق عبد السلام التدمري ،بيروت ،2005 ، ج5، ص215 ، إسماعيل البغدادي: هدية العارفين . . . ج1،ص784، حاجي خليفة: المرجع السابق رقم1552،إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون. . . ج1 ص541، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

البيطار (646هـ/1248م)الذي ألف كتاب الأصول في شرح الفصول لابوقراط وكذلك ابن النفيس(687هـ/1288م) ألف كتاب شرح فصول أبقراط وكتاب الموجز في الطب وهو موجز لكتاب القانون لابن سينا والجدير بالذكر حتى ابن سينا لخص كتابه القانون في أرجوزة من 1326 بيتا و هو خلاصة الطب اليوناني والعربي وهكذا تتضح لنا مكانة ابن البذوخ العلمية في الطب وكان له أيضا اعتناء بعلم الحديث والشعر وله رجز كثير والتأليف بالشعر في التراث العربي كثيرة خاصة في الطب والصيدلة والكيمياء إلا أن أكثر شعره ضعيف منحل ([1]) له قصيدة في ذكر الموت والميعاد منها([2]).

وعمر طويلا حتى ضعف عن الحركة حيث كان يحمل في محفة، وعمي في أواخر حياته لماء نزل في عينيه لأنه كان يتغذى باللبن كثيرا وكان يقصد من وراء ذلك ترطيب بدنه وتوفي في دمشق سنة575أو576هـ/1179 او1180م([3]).

وتجدر الإشارة أن أبي طاهر السلفي في معجمه ذكر إسم الطبيب أبو حفص عمر بن علي بن خليفة البذوخ القلعي وأنه زار الإسكندرية ولقيه سنة 511هـ/1136م، بل وذكره بلفظ الطبيب بالإسكندرية، ويبقى السؤال هل هو الطبيب السابق أم طبيب آخر من آل البذوخ، إن قراءة دقيقة للاسم يفهم انه ابن عم الأول حيث انه ابن خليفة وطبيب في الإسكندرية وليس عابرا لها فقط نحو دمشق([4]) و ذكره صاحب كشف الظنون أبو جعفر عمران بن علي بن البذوخ([5]).

-**الطبيب الثاني:** ابن أبي المليح: الذي عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري في عصر يحي بن العزيز (515-547هـ/1140-1172م) كان

---

[1]) الصفدي صلاح الدين: المصدر السابق ص220،رابح بونار: المرجع السابق، ص278،عادل نويهض: المرجع السابق،ص362.

[2]) الصفدي صلاح الدين: المصدر السابق، ص487.

[3]) الصفدي صلاح الدين : المصدر السابق ص 487، الحصني محمد أديب آل تقي الدين: كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، تقديم ،كمال سليمان الصليبي،بيروت، منشورات دار الأفاق الجديدة، 1979 ،ج2،ص480، عادل نويهض: المرجع السابق ،ص362 ، رابح بونار: المرجع السابق ص278.

[4]) السلفي أبو طاهر أحمد بن محمد: معجم السفر ، تحقيق عبد الله عمر البارودي، مكة المكرمة ،المكتبة التجارية ،(د ت) ،ج1 ،ص 231: ، احمد بن محمد أبو رزاق: المرجع السابق ص256-259.

[5]) حاجي خليفة: المرجع السابق،ج2،ص403.

حاذقا في صناعة الطب كما كان أديبا يكتب ويقرض الشعر منها قصيدة في مدح عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائنه وقصوره وفيها لمحة من نفس البحتري والمتنبي، لان شعره كان صادقا وجميلا بعيدا عن التملق والتكسب و نهج طريق البحتري في المدح([1]).

من شعره في مدح عبد الله بن العزيز الحمادي هذا البيت يصف جنائنه وقضاءه العيد:

وجالت به حرد المذاكي كأنها عذارى ولكن نطقهم تحمحم

لصفراء كالبتر العتيق صقلية ودهماء يتلوها كميت وأدهم

وأشقر لو يجري وللبرق جهده لكان له يوم الرهان التقدم

وأقام لواء النصر يتبع راية بها العز معقود عليها متم

فلما قضى حق الصلاة معظما والهدى في وجهه يتوسم

فلازال يقضي نفله وفروضه برد علاه بالمدائح معلم([2]).

-الطبيب الثالث علي بن الطبيب: المعروف بهذا الإسم ذكره القفطي بإسم علي الطبيب الإفريقي مرتزق بالطب في الدولة الحما دية ،أي يمتهن الطب و يأخذ منه رزقه، ولعله خدم يحي بن عبد العزيز وله شعر وأدب ، وهي صفة اشترك فيها أطباء مدينة قلعة بني حماد ، ومن شعره قوله:

ياجملة الحسن هب لي منك حسانا أي احبك إسرارا وإعلانا

أصبحت عبدك لا أبغي بكم بدلا ولا أحب سواك الدهر أنسانا

وله أيضا شعر:

---

[1]) محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والإشهار ، 1983 ص162 ,رابح بونار: المرجع السابق، ص278،أحمد بن محمد أبو رزاق: المرجع السابق ،ص156-160، ومن أجل مقارنة شعره مع البحتري، أنظر البحتري : الديوان ،بيروت 1962 ص23-25، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص265.

[2]) القفطي جمال الدين: كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء،بيروت،دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع (د ت) ،ص 159، الأصفهاني العماد:خريدة القصر وجريدة العصر،قسم خاص بشعراء المغرب،نشر محمد المرزوقي،محمد العروسي المطوي،الجيلالي بن الحاج يحي،تونس 1966 ، ص217، رشيد بورويبة: المرجع السابق،ص184.185 ،198،محمد الطمار: المرجع السابق, ص162، رابح بونار : المرجع السابق ص278.

إني لعبدك لا ابغي بكم بدلا ولا أحب سواك الدهر إنسانا ([1]).

-**الطبيب الرابع:** محمد بن أبي بكر المنصور القلعي: نبغ في الطب والرياضيات والحساب وعلم الفرائض([2]).

2-مظاهر تطور الصيدلة في مدينة قلعة بني حماد:

كما مر ذكره أن ابن البذوخ القلعي كان له دكان في سوق اللبادين في دمشق يبيع فيه الأدوية بعدة أشكال، أقراص(tablets/comprimés) و مسفوفات(powders/poudres) ومعاجين،أي مثل أدوية الصيدليات اليوم مما يعكس تطور صناعة الدواء في هذه الفترة في الحضارة العربية الإسلامية وهي مما لا شك أخذها من مدينة قلعة بني حماد التي كانت بها صناعة الدواء مزدهرة لثراء المنطقة بالأعشاب الطبية كما ذكر الجغرافيون العرب([3]).

وعن تطور الطب في مدينة قلعة بني حماد ذكر الإدريسي (ت547هـ/1151م) في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الأفاق مايلي:« **وبهذه المدينة عقارب كثيرة سود تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها ويحصنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني ويزعمون انه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها شيء من الم تلك العقارب وهذا عندهم مشهور وقد اخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا وحكي عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع مسرعا ثم أنه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات فما وجد لذلك اللسب ألما وهذا النبات ببلد القلعة كثير** »([4]) ،وحران مدينة من مدن الجزيرة

---

[1]) القفطي : المصدر السابق(طبعة، لايبزيغ ألمانيا 1903)،ص237، الأصفهاني عماد : المصدر السابق ،ج1،ص215،183 أحمد بن محمد أبو رزاق: المرجع السابق ص 160-162، رشيد بورويبة : المرجع السابق،ص184 ،198، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص265.

[2]) عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص270.

[3])ابن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ،مكتبة لبنان 1975 ,ص2271

[4])الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، بيروت عالم الكتب ،1989،ج1، ص255 ، ابن عبد المنعم الحميري: المصدر السابق، ص،469، 2271 ، جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين(10.9م)،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1992،

الفراتية شمال الموصل وحلب بناه هاران عم وصهر إبراهيم الخليل وإليها نسب نبات الفوليون السابق الذكر([1]).

وأمر وجود العقارب في منطقة مدينة قلعة بني حماد أكدته الأحداث السياسية حيث مات باديس الصنهاجي بسم عقرب لغدته ليلا وهو نائم ليلة الأربعاء 29 ذي القعدة406هـ/ 09ماي 1015م ،مما اثر على الأحداث السياسية لصالح حماد وإقامة الدولة الحمادية في قلعة أبي الطويل بعد حصار للقلعة دام ستة أشهر([2]).

وعلاج سم العقرب كان يعتمد على ترياق خاص([3]) و اليوم يعتمد على الأمصال المستخرجة من سم العقرب نفسه بعد حقنه في الحيوانات ، وهو علاج موضعي بعد اللسعة و إذا طال الوقت تموت الأشخاص في المناطق البعيدة عن المراكز الصحية، و لا يوجد دواء يحمي من سم العقرب عام كامل حتى الآن رغم التطور الطبي والعودة إلى طب الأعشاب الذي يحدث العلاج مع الحفاظ على توازن الجسم بضبط المقادير أحسن من الدواء الكيماوي وهو ما يعرف اليوم بالطب البديل(alternative medicine)([4]).

ص53 ،114،إسماعيل العربي:المدن المغربية،الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1984،ص167ـ168.رشيد بورويبة:المرجع السابق،ص133ـ134، عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص271.

[1])المقدسي شهاب الدين: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،تحقيق، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة بيروت 1997 ،ج4 ،ص240 ، وحول النسبة اللغوية حران حراني أنظر ابن منظور: لسان العرب ،بيروت دار صادر،ط1، (د ت)، ج8 ،ص212،ج13، ص111، أبو سعيد الازدي : كتاب مشتبه النسبة بور سعيد مصر،مكتبة الثقافة الدينية ،2001 ،ص75-76

[2] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق ،مصطفى أبو ضيف ،الدار البيضاء،دار النشر المغربية، 1984 ص 15206، 258-259، إسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ...،ص106ـ107، رشيد بورويبة: المرجع السابق،ص27-29.

[3] هذا الترياق صنعه بالقدس الطبيب أبي سعيد التميمي ينظر ابن أبي أصيبعة:المصدر السابق ،ج1،ص548،أحمد عبد الحميد عبد الحق: صناعة الأدوية الطبية ومظاهر ازدهارها عند المسلمين، www,Google.com يوم 01جويلية 2007،س30،7،ص5.4.

[4] دراسة سمية وفارماكولوجية سموم العقارب والثعابين في المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم والتقنية، ع06، ربيع الآخر 1409هـ/ديسمبر1988 ،الرياض مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتنمية ، ص48، بركان توفيق: التسمم العقربي ضرورة الإسراع في الإسعاف والعلاج، مجلة الجندي عدد 360 ،جويلية 2007 ،الجزائر،الجيش الشعبي الوطني ،2007 ،ص15-16 جاء فيها في عام 2006 تم تسجيل 45391 لسعة عقرب أدت إلى 62

والأشكال الموجود ماهو الفوليون الحراني الآن؟ حيث جاء في كتاب عمدة الطبيب لأبي خير الاشبيلي في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي : « جعدة: وجعيدة، وجعداء، وجعيداء، وجعدة حران، هذه كلها أنواع غير متشابهة لكن اشتركت في الاسم فقط، وهي من جنس الشيحيات إلا الجعداء فإنها من نوع الكرفس، ويضيف واختلف في الجعدة فقال حبيش بن الحسن: هو الشيح بعينه([1])

وفي وصف الجعدة فصل أنها ثلاثة أنواع جبلية بيضاء تعرف بالبذليرة وأخرى تعرف بمسك الجن وهي الجعيدة،وأما الحرانية ويعرفه بعض أهل البادية **أليون وألياناة** ويسمى باليونانية **بوليون وفوليون** وبالفارسية **كفليون وقرشبيون** بالعجمية(الاسبانية) **يربه قرشته** وبالبربرية(الأمازيغية) **كموتان** وبالسريانية **قلوين** تستعمل في الترياق والمعاجن، وهي نبات صغير، وله ورق، وله ورق دقيق، أغبر شبه ورق الشيح على أغصان رقاق كثيرة تخرج من أصل واحد، في أعلاها رؤوس صغار كالارزة مملوءة من البزر، ولها طيب رائحة مع ثقل يسير،ولونها أجمع أغبر إلى البياض، منابتها البيضات من الجبال، وذكر أبو الخير الاشبيلي انه شاهد هذا النبات بالفونت على مقربة من اشبيلية([2]).

و ذكره الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني(ت694هـ/1295م) في كتابه المعتمد بقوله« فوليون: هو الجعدة»([3])، وفي شرحها ذكر جعدة هو صنفان جبلي وآخر أكبر منه وهي ذات طعم مر، إذا افترش أو دخن به طرد الهوام،ينفع من الحميات المزمنة، ومن لسع العقارب، والنوع الثاني هو ضرب من الشيح ويسمى فوليون وهي الكبيرة،والصغيرة الجبلية أحد وأمر([4]).

وفاة وفي الجزائر36 ولاية من أصل 48 تعاني من التسمم العقربي وسجل عام 1999 مئة وخمسون قتيلا بهذا السم.

[1] الاشبيلي أبو الخير:عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وحققه محمد العربي الخطابي ،بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1995،1،ج1،ص141،

[2] الاشبيلي أبو الخير: المصدر نفسه ،ج1،ص142.

[3] المعتمد في الأدوية المركبة، صححه وفهرسه مصطفى السقا، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع 2000،ص453

[4] الملك المظفر الغساني التركماني: المصدر نفسه،ص65.

والباحث الجزائري حليمي عبد القادر في كتابه النباتات الطبية اخلط بين الجعيدة وهي مسك الجان والجعدة[1] التي ذكرها البيطار[2] والأنطاكي وابن سينا والغساني وابن حمدوش[3]،حيث ذكر الجعدة ثلاثة أنواع النوع الجبلي يقال له سرقسطة، والنوع الثاني مسك الجان والنوع الثالث الحرانية ،وابن الجزار ذكر الجعيدة هي الفرليون أو الفوليون[4].

وفي اتصال مع عشاب المسيلة الحاج مزعاش سنة 2008 ذكر لي الفوليون هو الجعدة وبعث لي بحزمة منها ، وأوصى بالرجوع إلى كتاب لابن حمادوش و كتب لي على ورقة مايلي «**هي موجودة عندنا في الجبل أوصافها كما ذكرها بن حمدوش في النوع الثالث وتسمى الجعدة الجبلية**»[5] ولما رجعت الى كتاب ابن حمادوش وجدته ذكر مايلي:«(جعدة) هكذا تعرف عندنا وهي ثلاثة أنواع،ويقال للنوع الجبلي منها:سرقسطة وللنوع الثاني مسك الجان وهي الشندقورة وللنوع الثالث الحرانية وكلها حارة يابسة في الثانية ولاتطلق عندنا إلا على نوع واحد هو الجبلي قريبة من الشيح

---

[1] عبد القادر حليمي: النباتات الطبية في الجزائر، الجزائر، منشورات برتي،ط1، 2004،ص27، ذكر أسمها باللاتينية (teucrium polium) وبالفرنسية (pouliot de montagne) وبالانجليزية(cat tyme,hulwort وفي صفحة 157.156 مع ذكر الشنتقورة حيث ذكر العرصف الجعدي عند ديسقوريدوس هو التيكريوم بوليوم والأنطاكي ذكر الجعدة باليونانية هي البوليون أوبوليوم وبالبربرية أرطالس وهو نبت يفرش أوراقا خضراء، سبطة الوجه الأعلى مزغبة الآخر، تحيط بأطرافها أشواك صغار، وترفع قضبانها زهر ابيض إلى صفرة يخلف كورا محشوة بزرا كالانيسون وعليه كالشعر الأبيض عطرية لكن إلى ثقل ، تدرك في أواخر جوان،أي بداية الصيف.

[2] ابن البيطار العشاب المالقي: تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، تحقيق محمد العربي الخطابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1990،ص100، وينظر رابح المغراوي: قلعة بني حماد من خلال كتب الجغرافيا التاريخية قراءة تحليلية، الملتقى الدولي مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة 11.9أفريل2007، ص31

[3] ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري:كتاب كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، عربي/فرنسي، باريس،مكتبة البستان، بيروت دار الكتب العلمية،1996،ط1،ص112-114

Gabriel,Colin, abderezzag el-jezairi un médecin arabe du xii siècle de l'higire, thèse présente et publiquement soutenue a la faculté de médecine de Montpellier le 9mars 1905,Montpellier imprimerie delard-boehm et martial,1905,p

[4]ابن عبد القادر حليمي: المرجع السابق،ص27

[5] الحاج مزعاش مراسلة خاصة مع الباحث سنة 2008 .

وهي أجزاء الترياق وتستعمل للديدان وتقوم مقام الشيح بدلها نصف وزنها سليخة ومثلها عيدان الرمان الرطب»[1] وأضاف باللغة الفرنسية نفس الكلام مع الاسم الفرنسي(Teucrium) والفوليون الحراني حسب الشيخ داود ،والبوليوم(polium) عند ديسقورس والجعدة عند العرب ، وعند ابن سينا الجعدة هي البوليوم[2].

وفي كلمة الشيح ذكر مايلي:«(شيح) حار في الثانية يابس في الأولى أنواع منه أرميني ومنه تركي ومنه بحري والبحري نوع من العسيلة وأجوده الأرميني المعروف عندنا بالشيح الخراساني ينفع من عسر النفس ويضر المعدة ويخرج الديدان وحب القرع ويقتلها ويدر الطمث والبول، وينفع من السموم »[3]

خاتمة:

وأخيرا يمكن القول أن الطب والصيدلة كان متطور جدا في مدينة قلعة بني حماد خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين الموافق للقرنين الحادي عشر والثاني عشر، رغم إهمال كثير من المراجع لدور المغرب الأوسط (الجزائر)في هذا المجال، ويبقى القول أن الفوليون الحراني هو نوع من النباتات الطبية يسمى الجعدة (التركيوم بوليوم /teucrium polium) عند ديسقوريدوس والأنطاكي وابن البيطار وابن سينا ابن الخير الاشبيلي والملك المظفر الغساني التركماني و عبد القادر حليمي وعشاب المسيلة السيد مزعاش من أجل صناعة دواء متطور منه لمعالجة سموم العقارب التي تفتك سنويا بمئات الناس في الجزائر فقط، وبالتالي إنقاذ آلاف الأرواح سنويا.

ويبقى على الصيادلة الحصول على نبات الجعدة الذي هو الفوليون الحراني وصناعة هذا الشراب الذي كان يصنع في مدينة قلعة بني حماد للقضاء على سم العقرب لمدة سنة كاملة بمقدار دينار ثمنا ،وإنقاد آلاف الأرواح سنويا من التسمم العقربي.

---

[1] ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري:المصدر السابق،ص112-114 .

[2] ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري:المصدر نفسه،ص113-114.

[3] ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري:المصدر نفسه،ص247.

2- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في منطقة تلمسان خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)

مقدمة:

بدأ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في عهد الدولة الفاطمية مند عهد الخليفة المعز لدين الله بمصر (341-365هـ/953-975م) الذي سن للمجتمع المصري الاحتفال بستة مواليد منها ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من ربيع الأول.[1]

[1] المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية،ج2، طبعة جديدة بالاوفست بولاق القاهرة 2002،ص490 ،عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني،(دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية،ثقافية)،ج1، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ جامعة الجزائر1995،،ص267.

ثم بعد ذلك انتشر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في مكة المكرمة خلال القرن السادس الهجري الموافق للثاني عشر الميلادي، وفي أربيل من أعمال الموصل زمن الدولة الأيوبية تحت حكم الملك مظفر الدين (ت630هـ/1232م) صهر صلاح الدين الأيوبي،وفي بلاد المغرب الإسلامي و الأندلس عند بني العزفي أصحاب مدينة سبتة حيث دعى أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد اللخمي العزفي السبتي(ت633هـ/1235م) للاحتفال بالمولد النبوي الشريف في مدينة سبتة وألف كتابا عنوانه الدر المنظم في مولد النبي المعظم.[1]

وفي العصر المريني زاد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عناية واهتماما في عهد يعقوب بن عبد الحق(656-685هـ/1258-1286م) لكن الاحتفال ظل محصورا في مدينة فاس فقط،ثم انتشر الاحتفال في جميع أقاليم المغرب الأقصى في عهد السلطان يوسف بن يعقوب(685-706هـ/1286-1308م) وأصدر مرسوما سنة (691هـ/1292م) جعل المولد النبوي عيدا رسميا في الثاني عشر من شهر ربيع الأول بإشارة من الفقيه أبي طالب بن عبد الله بن القاسم العزفي،وفي عهد أبي حسن المريني(731-749هـ/1331-1348م) صارت الدولة تتحمل نفقات الاحتفال بهذه الليلة ضمن المراسيم الرسمية، وزاد الاحتفال باليوم السابع منه،وزاد ابوعنان (749-759هـ/1348-1358م) الاحتفال بهذه المناسبة جمالا وأبهة.[2]

أما الحفصيون فقد أقتدوا بهذا الاحتفال في عهد السلطان أبي يحي بن ابي بكر(718-747هـ/1318-1347م)،وتحول الاحتفال رسميا في عهد السلطان أبي

---

[1] لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة،ج3، تحقيق ،تقديم محمد عبد الله عنان ،دار المعارف القاهرة (دت)، ص11،عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم،دار البعث قسنطينة1986،ص214وما بعدها،عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص268، عبد الهادي التازي:لماذا أعيد المولد في المغرب الإسلامي،والأسباب التي كانت وراءه،مجلة دعوة الحق،العدد277،جمادي الأول 1410هـ ديجنبر 1989،ص48.

[2] عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص268-269، روبار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي،ج2، نقله إلى العربية حمادي الساحلي،ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان1988،ص318-319

فارس عبد العزيز (796-837هـ/1394-1433م) في أول المائة الثامنة،وتحول إلى عادة عند عامة الناس يستعدون لها في كل سنة.[1]

والسؤال لماذا تأخر المجتمع التلمساني عامة والندرومي خاصة عن غيره من المجتمعات في المغرب الإسلامي في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف?،وكيف كانت مظاهر الاحتفال به? وكيف هي اليوم?وما الغرض من الاحتفال بمولد محمد صلى الله عليه وسلم?.

1. بداية الاحتفال بالمولد النبوي في تلمسان وندرومة:

يحتفل أهل مدينة ندرومة وتلمسان خاصة والمسلمين عامة بمولد محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل كل سنة في 12 من شهر ربيع الأول، مند عهد أبي حمو موسى الثاني الزياني الذي عاش في الأندلس ومدينتي فاس وتونس وشاهد الاحتفالات والرسمية ، وذلك مند توليه العرش سنة(760 هـ/1359م)،وهذا تأثرا بغزوات بني مرين وبني حفص لمدينة تلمسان،خاصة السلطان المريني يوسف بن يعقوب الذي أصدر مرسوما حكوميا سنة(691هـ/1292م) يتضمن تعميم هذه الظاهرة في المناطق التي تخضع إلى نفوذه منها منطقة تلمسان حيث حاصر مدينة تلمسان تسع سنوات وبنى مدينة المنصورة قربها على بعد أربع كيلومترات.[2]

كما كان أبو الحسن المريني يحتفل بالمولد النبوي سفرا وحضر ولا يشغله عن إقامته شاغل لدرجة أنه كان يعاقب كل من يتخلف عن الاحتفال في أي مكان كان به،وأثناء ضمه لتلمسان طيلة اثنتي عشرة سنة كان يحتفل بالمولد (738-749هـ/1338-1348م)،وبالتالي يكون أهل تلمسان قد عرفوا هذه الذكرى لكن

---

[1] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تونس 1967،ص290،عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص268-269،روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص318-319

[2] بن خلدون يحي: بغية الرواد،ج1، تحقي عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائر 1980،ص208-209، ابن مرزوق الخطيب:المسند، الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ،تحقيق ماريا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1981،ص153-154،عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،ص270، 276، عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج2، المطبعة العربية،الجزائر 1954،ص81-82، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص318-319 ، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249-275.

لم تكن منتظمة لأن سلاطين بني زيان لم يتولوها،ولمعارضة فقهاء المالكية في تلمسان لهذا الاحتفال واعتبروه بدعة أو على الأقل عارضوا طريقة الاحتفال.[1]

اكتسى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بمدينة تلمسان في عهد أبي حمو موسى الثاني، حلة جميلة وطابعا شعبيا ورسميا مند توليه العرش الزياني سنة 760هـ/1359م لأنه عاش في مدينة فاس وتونس وفي الأندلس وشاهد الاحتفالات الشعبية والرسمية بها، وكان لأبي حمو شعر كثير في المولديات أي حول المولد النبوي.[2]

2. الغرض من الاحتفال بالمولد النبوي:

كان وراء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عدة أسباب هي:

أ. مقاومة تقليد الاحتفال بميلاد أهل الكتاب: بعد هزيمة المسلمين في معركة حصن العقاب وتوال سقوط مدن الأندلس في يد النصارى،ضعف المسلمون وأضحوا مغلوبين يقلدون الغالب من النصارى في كل شيء حتى في الاحتفال بعيد المسيح يوم 25ديسمبر كل عام ،وعيد النبي يحي في عنصرة (يوحنا المعمدان)، فخيف على المسلمين من نسيان وترك كل مايتعلق بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ماجعل العزفي أبو القاسم بن أبي العباس يدعو للاحتفال بالمولد النبوي الشريف.[3]

---

[1] بن خلدون يحي: المصدر السابق،ج1،ص208ـ209، ابن مرزوق الخطيب:المصدر السابق،ص153ـ154،عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق،ص270، 276، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق،ج2،ص81ـ82، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص318ـ319 ، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249ـ275.

[2] مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان،السفر الثاني،تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر2011،ص47 وما بعدها،عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص276، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص318ـ319، يحي بوعزيز: مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران 2003،ص58ـ59، عبد الحميد حاجيات: أبو موسى الزياني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1982،ص220ـ226، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249ـ275،عبد الحميد حاجيات:إحياء الدولة الزيانية،الجزائر في التاريخ،المؤسسة الوطنية للكتاب1984،ص399ـ410، الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية1995، ص105ـ112.

[3] عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص273ـ275، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص224 وما بعدها ،عبد الهادي التازي:المرجع السابق،ص50،

ب . **التظاهر السياسي بالتقوى:** سواء من خلال الحكام المرينيين والحفصيين الذين قلدوهم أو الفاطميين من قبلهم، أو كان من طرف أشراف حقيقيون أو مزيفون ، فالأمر له علاقة بالنسب وعلاقته بالحكم أو التقرب من الحكام.[1]

والغرض إذا من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ليس التشبه بالمسيحيين وإنما التذكير بسيرة محمد صلى الله عليه و وسلم لعل الذكرى تنفع المؤمنين، ووحدة المسلمين التي هي واجب بنص القرآن[2] ،وما حقق الواجب كان واجب، رغم تشدد بعض الفقهاء المالكية في إنكار الاحتفال به ووصفه بالبدعة، والصحيح الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بدعة حسنة مثل صلاة التراويح وغيرها، من أنكره فلينكر صلاة التراويح مثلا،وبعض الفقهاء اعترض على الاحتفال والبعض الآخر مثل البرزلي على طريقة الاحتفال وهنا جوهر الحقيقة.[3]

3. مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

وتميز الاحتفال في عهد أبي حمو موسى الثاني(723-791هـ/1323-1389م) بإيقاد الشموع الملونة في المنازل والمساجد والزوايا،ويتلقى طلاب المدارس والمنح والهبات التي يقدمون جزءا منها إلى أساتذتهم في هذا اليوم المبارك،ويكون توزيع ماد الورد وماء الزهر ورشه بالرشات وإقامة المباخر بالعنبر، وتوزع فيه الهدايا المتنوعة ، وتسدد الديون عن المسجونين والأموات،ولباس أحسن الثياب، وتقديم أحسن الأطعمة خاصة للفقراء، ثم يأتي الإنشاد والتباري في مدح الرسول، والمتنوعة، وهذا لتعميم الفرح عند كل الناس بهذه المناسبة فالرسول رحمة للعالمين[4].

---

[1] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص318.319.

[2] مصداقا لقوله تعالى:﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وإنا ربكم فاعبدون ﴾ سورة الأنبياء الآية رقم92-93،﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وإنا ربكم فاتقون ﴾ ،سورة المؤمنون الاية52

[3] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص318.319، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص276

[4] ابن الحاج النميري: فيض العباب وفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، إعداد ودراسة محمد بن شقرون الرباط 1990،ص86، مجهول: المصدر السابق، السفر الثاني،ص47-56، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص276، محمد الطمار: تلمسان عبر العصور،دورها في سياسة وحضارة الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007،ص156ـــ157، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249.275.

فعندما انتصر أبي حمو موسى الثاني على بني مرين وأعاد إحياء دولة بني زيان بالمغرب الأوسط صادف حلول ذكرى المولد الشريف،فلم يتوان في انتهاز الفرصة للاحتفال به، وأقام بهذه المناسبة حفلا كبيرا، وجعل هذا اليوم من الأعياد الرسمية للدولة، وخصه بعناية فائقة دون غيرها، وفي ذلك يقول التنسي« **وكان يقوم بحق ليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم،ويحتفل بها بما هو فوق سائر المراسيم**».[1]

وكان السلطان الزياني أبو حمو الثاني يدعو كافة الناس خاصتهم وعامتهم بحضور هذا الاحتفال، وينقل يحي بن خلدون جانبا من احتفال السلطان في مجلسه في ليلة المولد بقوله«**فأقام لها بمشور داره العليا عرسا حافلة، احتشدت لها الأمم وحشر بها الأشراف والسوقة... »**.[2]

ووضع لها إمكانات مادية ومعنوية هامة نمارق مصفوفة و زرابي مبثوثة، وبسط موشاة ووسائد مغشاة بالذهب ومشامع كالاسطوانات، وكان السلطان يتصدر المجلس، جالسا على سريره،الذي يسر الناظرين في أبهة وإجلال، ثم تليه أعيان المدينة من مختلف الطبقات الاجتماعية،من أمراء ووزراء ووجهاء وعلماء وشعراء وموظفين ونقباء الحرف المختلفة التي تعج بها تلمسان و ندرومة وغيرهما،ومن عامة الناس أجلسهم على مقاعد حسب مراتبهم الاجتماعية،وخصص لهم ولدانا تطوف عليهم، يرتدون لباسا من حرير ملون، ويحملون بأيديهم مباخر ومرشات يخرج منها دخان العنبر وماء الورد المجلوب من بلاد نصيبين شمال بلاد الشام[3].

---

[1] التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ: نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 ،ص162، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص276،محمد الطمار المرجع السابق،ص156ـــ157. عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249.275.

[2] بغية الرواد،ج2، تحقيق بوزيان الدراجي ص40، 49، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص276، محمد الطمار المرجع السابق،ص156.157. عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249.275.

[3] بن خلدون يحي:بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد وما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد،ج2، تقديم ،تحقيق ،تعليق بوزيان الدراجي ،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع الجزائر 2007،،ص40، المقري :المصدر السابق،ج9،ص215، عبد العزيز فيلالي:المرجع

وبعد تقديم أنواع الأطعمة للحاضرين،يأتي دور الإنشاد حيث يعم الهدوء والوقار، فيتقدم المنشد بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ويستهل ذلك بقصيدة من نظم السلطان أبي حمو موسى الثاني، في مدح مولد النبي المصطفى[1].

ثم يأتي دور إنشاد القصائد والتباري بها في مجلس السلطان بهذه المناسبة الكريمة، نظمها شعراء تلمسان وأدباؤها،ويستمر قراءة القصائد إلى آخر الليل، حيث يؤتى بأصناف الأكل إلى وقت صلاة الصبح، فيؤدي السلطان الصلاة بالمجلس ثم يقوم الحاضرون فينصرفون إلى منازلهم حيث ذكر يحي بن خلدون« **وجيء في آخر الليل بالخرس الشهي الملاذ الحافل الملامح والمشام المتعدد الخوانات،مما أرحبت ساحته،وناء بالقصبة أولى القوة محملة ثم الفواكه فالحلواء ،وطعم الناس بين يدي الخليفة، وشكروا الله سبحانه وتعالى ولم يبرح مكانه حتى صلى صلاة الصبح في الجماعة ثم غدا إلى داره السعيدة»**[2].

وكان استخدام المنجانة[3] التي صنعها أبو الحسن المعروف بإبن الفحام لقياس الوقت ليلة المولد والتي أخترعها بمناسبة الاحتفال بالمولد الشريف،وقد خلد المؤرخ يحي بن خلدون هذه الساعة بقصيدة بين يدي السلطان أبو حمو موسى الثاني،

السابق،ج1،ص276، محمد الطمار: المرجع السابق،ص156ـ157. عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249ـ275.

[1] المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،ج9، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،القاهرة 1949،ص218، التنسي:المصدر السابق،164، مجهول: المصدر السابق، السفر الثاني،ص47-56، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص277، محمد الطمار المرجع السابق،ص156ـ157، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249ـ275.

[2] التنسي: المصدر السابق ،ص163ـ164، بن خلدون يحي:المصدر السابق،ج2،ص49، مجهول: المصدر السابق، السفر الثاني،ص47-56، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص277، محمد الطمار المرجع السابق،ص157ـ160 ،عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249ـ275.

[3]المنجانة :أو المنكانة أو المنقانة ومعناها الساعة،ولازال أهل تلمسان يسمون ساعة الحائط بكلمة ملكانة وقدم لها يحي بن خلدون وصفا دقيقا بقوله« أما المنجانة،ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع تجاهه بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه وبخاتله فيهما أرقم خارج من كوة بجدر الأيكة صعدا، وبصدرها أبواب مجوفة، عدد ساعات الليل الزمانية...ينظر التنسي:المصدر السابق،ص162ـ163،ابن خلدون يحي: المصدر السابق،ج2، ص40ـ41، محمد الطمار المرجع السابق،ص157ـ160، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249ـ275.

وصارت ليلة المولد فرصة لقرض الشعر والتباري به ، وهي مظاهر لا تختلف عن الاحتفال في مدينة تلمسان أو بقية المدن الجزائرية،وبهذه الطريقة كان السلطان أبو حمو الثاني يحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف وصارت عادة مستحبة لذى سلاطين بني زيان الذين جاؤوا من بعده ولدى المجتمع التلمساني الذي صار يبالغ في الاحتفال به.[1]

وقد أوصى أبو حمو الثاني ابنه أبا تاشفين الثاني بإتباع أثاره في هذه المناسبة بقوله «**يابني عليك بإقامة شعائر الله عزوجل، وابتهل إليه في مواسم الخير وتوسل واتبع أثارنا في القيام بليلة مولد النبي عليه السلام و استعد لها بما تستطع من الإنفاق العام،واجعله سنة مؤكدة في كل عام تواسي في تلك الليلة الفقراء وتعطي الشعراء ، وإن ركبت فيك الغريزة الشعرية وتحليت بالحلية الأدبية زادت جمالا إلى جمالك،كمالا إلى كمالك فانظم المولديات**».[2]

فعمل أبو تاشفين بنصائح والده،ونسج هذه العادة على نسج أبيه،وزاد عليه احتفال آخر بالليلة سابع المولد وفي ذلك قال التنسي« **ولما كانت ليلة سابع المولد المذكور احتفل لها أعلى الله مقامه بمثل احتفاله لليلة المولد أو أعظم**»[3] ومازال أهل تلمسان وندرومة يحتفلون بيوم المولد ويوم السابع منه إلى يومنا هذا.

وظل سلاطين بني زيان يرعون هذا الاحتفال، منهم أبو زيان محمد بن أبي حمو (796-801هـ/1394-1399م) حيث كان يحتفل بالمولد احتفال أسلافه إلى الصباح ترفع إليه القصائد والمدائح بهذه لمناسبة لذلك تطورت المدائح النبوية بشكل كبير ،وفي الصباح يقوم النساء بالزغاريد ثم زيارة قبر أبي مدين بالعباد.[4]

---

[1] التنسي: المصدر السابق ،ص162-163، بن خلدون يحي:المصدر السابق،ج2،ص40-41، المقري: نفح الطيب،ج9،ص216-217، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص278-279، عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني...،ص180، محمد الطمار: المرجع السابق،ص157ـ160، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249-275.

[2] التنسي: المصدر السابق ،ص186، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص278ـ279، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249-275.

[3] التنسي: المصدر السابق ،ص196، عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ج1،ص278ـ279، عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249-275.

[4] عبد الله حمادي:المرجع السابق،ص249-275.

خاتمة

يعد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من الأعياد التي يحتفل بها المسلمون سواء منذ العهد الفاطمي أو غيره العزفيين حكام سبتة أو المرينيين ثم الحفصيين، وأصبح رمز التدين، وفي منطقة تلمسان بدأ الاحتفال بالمولد منذ عهد أبو حمو موسى الثاني سنة760هـ/1359م من أجل تذكير الناس بمناقب النبي محمد صلى الله عليه وسلم،وجمع وتوحيد المسلمين على محبة رسولهم فما حقق الواجب فهو واجب، ورغم اعتراض بعض الفقهاء على الاحتفال لكونه بدعة وتقليد للنصارى في الاحتفال بعيد ميلاد المسيح، والبعض الآخر أعترض على طريقة الاحتفال الإسراف والشموع ...

وسواء على المستوى الرسمي أو المستوى الشعبي مناسبة المولد النبوي كل سنة في يوم الثاني عشر ربيع الأول مناسبة للفرح والتوسعة على الناس بالمأكولات والحلويات،التضامن مع الفقراء والمحتاجين ، فهو يوم رحمة كما كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

3 -أسباب سقوط الأندلس(غرناطة) (28 صفر 897 هـ/ 02جانفي1492)

مقدمة:

الأندلس هي جزء من شبه جزيرة ايبيريا،تتكون من عدة مدن هي قرطبة ، وإشبيلية،وطليطلة، وبرشلونة، والجزيرة الخضراء،ومرسيه،ورندة، وسرقسطة، ولشبونة، ومجريط، وشلب، وبلد الوليد،وغرناطة،هذه الأخيرة تعني بلد الرمان،حتى العهد الموحدي كانت مدينة صغيرة تابعة ألبيرة،ثم ازدهرت بعد عصر الطوائف على يد بني الأحمر سنة 636هـ/1238م فكانت حصن وملاذ للمهاجرين من المدن المنكوبة بعد سقوط الموحدي التي كان بني الأحمر سببا في سقوطها ،و كانت تعد من السكان ألف ألف نسمة أي مدينة مليونية في العصر الوسيط تتبعها ثلاثماية قرية عامرة على نهر شنيل تطل على سهل اخضر يسمى المرج ،فهي جنة الأندلس[1].

وهذه الدراسة تهدف إلى توضيح مفارقة كيف كان فتحنا وكيف كان إعادة فتحهم،نهدف الدراسة لمعرفة أسباب سقوط الأندلس عامة وغرناطة خاصة ليس لاسترجاعها وإنما حتى لا تضيع بلدان إسلامية أخرى مثلما ضاعت الهند والفليبين

[1] ابن الخطيب لسان الدين:الإحاطة في أخبار غرناطة،حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان،مجلد1، مكتبة الحانجي القاهرة 1973،ص115، 125-134،أحمد رائف: وتذكروا من الأندلس الإبادة ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991،ص29

واندونيسيا،وتايلاند ودول افريقية عديدة ،والبانيا ،وبلغاريا،بل حتى لا تضيع بلداننا العربية كما ضاعت فلسطين ولم نسترجعها بعد وهي أم القضايا.

أولا. الأسباب الداخلية:

1- توقف الفتوحات الإسلامية وبقاء النصاري بالمرصاد:

بدأ الفتح العربي الإسلامي لأوروبا من الجهة الغربية على يد طارق بن زياد سنة92هـ/ 710 م ثم موسى بن نصير الذي كان عازما على الرجوع الى دمشق عن طريق أوروبا الجنوبية والقسطنطينية،لكن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك اجبر بن نصير على العودة دون تحقيق هذا الانجاز الاستراتيجي،ثم توقفت في عهد عبد الرحمن الغافقي100-102هـ/ 720-722م وهزيمة بلاط الشهداء قرب تولوز سنة 114هـ/ 732م[1].

فالخلافة الأموية في الاندلس رغم قوتها واستقرارها لعدة عقود وطيلة ثلاثة قرون من عمرها لم تصنع مشروع للتعامل مع هذا الخطأ التاريخي وهو ترك النصاري في الشمال يتحصنون(قشتالةcastellanos) ويترقبون أي فرصة للانقضاض على المسلمين،لأنهم لم يغرفوا حقيقة التاريخ ولم يعوا قوانينه ولم يفهموا طبيعة تكوين الأندلس، فالدولة لها قانون التحدي والاستجابة كما قال جوزيف، والدولة لها عمر يجدد بتحديد الأهداف والتشبيب والرصيد من التجارب وعصبية اليوم ليست القبيلة

---

[1] ابن القوطية أبو بكر: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق،تعليق، إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989،ص1-92،مجهول: كتاب أحبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989،ص 93-181،مجهول: فتح الأندلس، دراسة وتحقيق مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي مدريد 1994، ص07 وما بعدها،عبد الحليم عويس: دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية،ص 08، 12، جوزيف رينو: الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع الميلادي،تعريب وتعليق الحواشي وتقديم إسماعيل العربي،دار الحداثة بيروت،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1984،ص97 وما بعدها
Salah el Aoud, Histoire de l’islam en France entre hier et aujourd’hui, traduit par Amel Najjari ,Editions Ibn Hazm Beyrouth1995 p9-25

وإنما هي ثقافة الدولة كما يقول ابن خلدون وقانون التحدي والاستجابة للمؤرخ البريطاني يوسف ارنولد توينبي[1].

2- استيلاء الحجاب والنساء علي الحكم:

مثل الحاجب المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر الذي سيطر على هشام بن الناصر بمعونة أم الخليفة صبح وبالتالي سرق الخلافة الأموية وأسس الدولة العامرية وتضييع جهود عبد الرحمن الداخل صقر قريش وابنه الناصر الذي انتظر الحكم نصف قرن وهو ولي عهد[2].

3- التناحر العنصري بين المسلمين:

بين البربر والصقالبة والعرب، وبين حتى العرب شمالية وجنوبية،ومن نتائجها هزيمة حصن العقاب،الذي بعده سقطت مرسيه قرطبة الشرق الأندلسي ثم الغرب الأندلسي وعاصمتها اشبيلية،ولم يستطع الحفصيون إنقاذ الوضع،فكان سقوط اشبيلية 644هـ/ 1246م بمساعد بني الأحمر في غرناطة[3].

4- الاستعانة بالأعداء من النصارى ضد المسلمين:

خاصة في عصر ملوك الطوائف 20 حاكم في عشرين مقاطعة ومدينة وخاصة بني الأحمر في غرناطة مما ضيع طاقات بشرية ومالية كبيرة[4]،والأثر النفسي كبير جدا لان وجود راية محاربة إسلامية(بني الأحمر) يلمحها المسلمون المحاصرون كان اشد ضربة تلقاها المسلمون،وهي مايسمى الفتنة أو الحرب الأهلية، ورغم تحريم الفقهاء لذلك[5].

---

[1] عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982،ص127 وما بعدها ،عبد الرحمن علي حجي:التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة92-897هـ/711-1492م،دار القلم بيروت دمشق 1981،ص266 ،ينظر ابن خلدون عبد الرحمن:المقدمة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت2004،ص129، 145،

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص12، 78

[3] عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص15-19،16

[4] عبد الحليم عويس: المرجع نفسه،ص12،

[5] عبد الحليم عويس:المرجع نفسه،ص19،عبد الرحمن علي حجي:المرجع السابق،ص326-354، قارن ذلك بالوطن العربي أكثر من 20دولة تتنافس في محاربة بعضها والاستنجاد بأمريكا وفرنسا وبريطانيا والحلف الأطلسي

5- **الغرق في الملذات :**

الأندلس بجمالها وخيراتها والاستقرار في عدة قرون جعل حضارة راقية في كل المجالات ، هذا جعل الناس يتراخون ولا يهتمون بالجهاد الذي كان بالنسبة للحكام لزيادة شعبيتهم فقط، ولا يهم أن يموت الناس دون خطة،وكما قال عبد الرحمن ابن خلدون أن أهل البدو اقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر[1].

6_ **الفشل في الإعداد للجهاد :**

بسبب البذخ وبسبب عدم وجود مشروع لصد أطماع النصارى في الشمال لا جند ولا صناعة عسكرية،كان الجهاد لكسب دعم الفقهاء فقط وجلب الناس حول الحكم و لا يهم بعد ذلك شيء فالمتطوعة من الشعب يذهبون بأموالهم إلى الأندلس وهناك يصدمون بالحقيقة المؤلمة[2].

فحتى المتطوعة المغاربة الذين كانوا يعيشون حياة خشنة للحفاظ على قوتهم لم يستطيعوا الاستمرار بل تورطوا في الصراع السياسي وقتل السلطان محمد بن إسماعيل النصري الغرناطي سنة 733هـ/1333م الذي مزقت جسمه رماحهم مما جعل السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل أخ السلطان الشهيد هزيمتهم ثم نفيهم من الأندلس إلى تونس[3].

7-**الاتكال في الجهاد على المغاربة:**

كل مرة يزيد خطر النصارى يكون الاستنجاد بالمغاربة بيوسف بن تاشفين المرابطي فكان نصر الزلاقة سنة479هـ/1086م ثم توحيد الأندلس بالقضاء ملوك

Amar Dhina,Grands Tournants de l'histoire de l'islam , de la bataille de badr a l'attaque d'Alger par charles-quint ,deuxième édition ,société nationale d'édition et de diffusion ,Alger1982 ,p118

يقارن ذلك بماحدث في العراق سنة 1991 أيام العدوان الثلاثيني الاستدماري الصهيوني بمشاركة مدنسة لعدة جيوش عربية في الوقت الذي قال فيها الرئيس الجزائري الأسبق الراحل رحمه الله موقف الجزائر موقف الشهداء رافضا كل التهديدات وكل الإغراءات.

[1] ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة،دار الفكر للطاعة والنشر والتوزيع بيروت 2004،ص139-140

[2] احمد رائف:المرجع السابق،ص36،

Amar Dhina,op,cit,p153-158

[3] ابن الخطيب لسان الدين: المصدر السابق،مج2،ص13،أحمد رائف:المرجع السابق،ص62-64 .

الطوائف، ثم الاستنجاد بالموحدين لإيقاف النصاري الذين استغلوا كوارث الدم التي ارتكبوها في مدن بلاد المغرب مراكش ووهران ...،فكان نصر الأرك سنة591هـ/1195م،ثم الاستعانة بالمرينيين وبالحفصيين فصار الفقهاء يدورون بأمره على البيوت يذكرون بالجهاد ويبينون فضل الشهادة في ملهاة عابثة ساخرة لا يفهم مبتداها ولا يعرف أحد منتهاها يسودها الارتجال ويعلوها ويذكيها الفساد والضياع الحكومة في واد والشعب في واد آخر الملك يوطد سلطانه بالطرق التي يراها صالحة لذلك والشعب يعد نفسه لحرب ضروس مع النصارى بلا قيادة مخلصة أو قائد حكيم يهب نفسه لقضية يدفع حياته ثمنا لها[1].

كانوا يرسلون صريخهم الأندلس سراعا ويقف شاعرهم وينشد القصائد المؤثرة يطلب فيها النصرة والمؤازرة،في مساجد القاهرة،وتونس، والقيروان، ومراكش،و تلمسان،فسمع الناس ويجهشون بالبكاء ثم يكفكفون دمعهم وينصرفون إلى بيوتهم ولا يستجيب لداعي الجهاد غير نفر قليل فقير يجد المشقة في الحصول على أجرة السفر يعبر بها البحر ليجاهد النصارى في مجتمع نظر أهله جميعا من الشهداء والصالحين، ويذهبون فيفاجئون بالحقيقة المرة،منهم من يبقى ومنهم من لا يجد فائدة فيعود[2].

فغرناطة حولها أعداء أقوياء وتركها أصدقاء سفهاء وقد يرسلون عبر البحر بالفتاوي المجهدة التي تزيد الأمر تعقيدا ومرارة مثل فتوى أحمد الونشريسي التي

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1972،ص98 وما بعدها،معمر الهادي محمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس 541-629هـ/1146-1233م دار هومة الجزائر 2005،ص67-207،عبد الرحمن علي حجي:المرجع السابق،ص419-455،أحمد رائف:المرجع السابق،ص36،وهنا نذكر قول المعتمد بن عباد المستنجد بالمرابطين لان أرعى الجمال في صحراء العرب خير من أرعى الخنازير في ارض الصليبيين، ورغم موته فقيرا في أغمات بالمغرب الأقصى في الحقيقة مات غنيا لان التاريخ خلده ينظر احمد رائف:المرجع السابق،ص15

Amar Dhina, op,cit ,p130, 138

[2] أحمد رائف:المرجع السابق،ص37 ،40

تدعوا من أحتل وطنه أن يهاجر منه لأنه تحول إلى دار كفر ولم يعد دار إسلام ولا ينصح بالمقاومة والثبات حتى تتغير الظروف ويكون النصر[1].

والغريب أن ابن العسال قال شعرا بعد سقوط طليطلة هو:

يا أهل الأندلس شدوا رواحلكم \\\\\\ فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب سل من أطرافه وأرى\\\\\\\ ثوب الجزيرة مسلولا من الوسط

من جاور الشر لا يأمن بوائقه\\\\\ كيف للحياة مع الحيات في سفط[2].

8_ زواج الأمراء من النصرانيات:

كانت عادة ملوك المسلمين أن يتزوجوا من نصرانيات ودرجوا على ذلك مند عهد قديم بدأ به عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي تزوج من أرملة رودريق،وقصة كوب الصباح في بلاد غرناطة التي تسمى ثريا أو إزابيلا ابنة عظيم من عظماء قشتالة زرعت أمام أعين السلطان أبي الحسن الذي شاخ ونخره الفساد فتزوجها وغرق في حبها فكانت تسكن في جناح بقصر الحمراء بينما عائشة وأولادها في جناح ببهو السباع ،ثم عملت ثريا على توريث أحد ولديها سعد ونصر ،بينما كان لعائشة قصة عذاب أخرى استغلها النصارى في الصراع ضد المسلمين[3].

9- **الفقر:**

وراء ضعف المسلمين فكان المتطوعة لا يملكون ثمن السفر إلى الأندلس ولا العودة بغية الجهاد كما لا يوجد جمعيات تنظم هذا عكس المسحيين كانت جمعية فرسان المعبد(الداوية) وجمعية فرسان القديس يوحنا(الاسبتارية) وجمعية القديس

---

[1] أحمد رائف:المرجع نفسه،ص40، ينظر الونشريسي أحمد: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ومايترتب عليه من العقوبات والزواجر،تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1986،المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب،مجلد 2، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ،ص119، ويقارن هذا مع الفتاوي التي طبقت في الجزائر بداية القرن العشرين بعد فشل المقاومة والهجرة إلى بلاد الشام خاصة وبلاد المشرق عامة سنة1911 ويقارن مع هجرة الفلسطنيين وتجنيسهم بالجنسيات العربية وغير العربية وأثره على القضية الفلسطينية من خلال رفض العودة وبالتالي تهويد فلسطين

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص16،

[3] احمد رائف:المرجع السابق،ص91

يوليان أو فرسان القنطرة،وقد تكون الأموال موجودة لكن مشتتة أو في يد سفهاء لذلك كان الجهاد الشعبي ضعيفا[1].

ثانيا- الأسباب الخارجية

1- تطور أوروبا أدبيا وتقنيا:

منذ النهضة الاقتصادية في القرن الحادي عشر الميلادي والنهضة الأدبية والفكرية،بينما الشرق العربي الإسلامي كان في تراجع علمي وتقني فرغم اختراع المسلمين للمدفع في المشرق واستخدامه لأول مرة في الأندلس في تحرير مدينة بياسة من النصاري سنة 724هـ/1324م ثم مدينة مرتش ورغم روح الجهاد المتقدة التي لم تمت بعد فان مقتل السلطان إسماعيل النصري غيلة بباب قصره وكثرة الموارد عند النصارى ،جعل هدا الاختراع أقوى في يد النصاري فيما بعد[2].

2- **توحد الممالك النصرانية :**

قشتالة وارغون بزواج ايزابيلا ملكة ارغون مع فرديناندوا ملك قشتالة سنة897هـ/1492م على أن يكون شهر العسل في قصر الحمراء[3].

3- **ظهور القوة العسكرية العثمانية:**

اعتمدت الدولة العثمانية منذ تأسيسها609هـ/ 1212م ،وحتى عصر بايزيد الثاني المحب للراحة والعلوم والأدب والأندلس تضيع وكان مشغول بالحروب مع إخوته ومع المماليك بينما أوروبا تقوى بالاقتصاد والعلوم والتقنية[4].

4- **ضعف إدراك العلاقات الدولية:**

لو فهم العرب أن الصراع دولي غرب وشرق وان يد خفية هي الماسونية تغذيه لإضعاف المسلمين والمسيحيين من اجل السيطرة على فلسطين، لكانت خطة

---

[1] احمد رائف:المرجع نفسه،ص46

[2] نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط ،دار الفكر(د ت) ص874-924،أحمد رائف:المرجع السابق،ص62 ،98، عثر على مخطوط قبل سقوط مدينة رندة عنوانه الغز والمنافع للإخوة المجاهدين بالمدافع

[3] عبد الحليم عويس:المرجع السابق،ص29

[4] أحمد رائف:المرجع السابق،ص125

ومشروع لإفشال هذا،أن احد ثغرات ثقافتنا العربية هي طغيان الماضي على الحاضر والمستقبل،رغم أن مغرفة المستقبل تمثل أحدى عناصر القوة[1].

5- الحروب الصليبية:

بدأت هذه الحروب من طرف اوروبا في سنوات 460-690هـ/1096-1291م مما شغل المشرق الاسلامي عما يجري في الأندلس التي كان البابا اسكندر الثاني قد أعطى بركته لمسيحي ايبيريا في حروبهم ضد المسلمين، واتخذوا من أمر الحاكم الفاطمي تدمير كنيسة القيامة في القدس يوم18 أكتوبر 1009م واضطهاد الحليفة العباسي التاسع المتوكل على الله للمسحيين واليهود وكل من خالفه مذهبه الشافعي ذريعة لذلك(مشكلة خلق القرآن)،ولم تنجح محاولة التنسيق بين صلاح الدين الأيوبي والسلطان الموحدي أبو يعقوب المنصور بسب حروب قرقوش في افريقية في وقت كان الموحدون يواجهون بني غانية الذين ضيعوا الأندلس بحمقهم[2].

6_ الدور الماسوني اليهودي:

كان للماسونية حكومة العالم الخفية يد في زيادة الأحقاد بين المسيحيين والمسلمين وحتى ضد اليهود للتحقيق أهدافهم وهي اقامة دولة في فلسطين، أول من دعى لذلك مسيحي متطرف هو هنري فنش محامي ونائب بريطاني سنة 1603م[3].

7- تبعية نظام ابن الأحمر في غرناطة للنصارى:

---

[1] وليد عبد الحي: الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية،شركة الشهاب الجزائر1991،ص05

[2] أحمد رائف:المرجع السابق،ص41، محمد خضري بك: الدولة العباسية،دار الأصالة الجزائر،دار الكتاب العربي بيروت2005،ص232، نور الدين حاطوم: المرجع السابق،ص823-827، محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،طبعة جديدة مزيدة ومنقحة،دار الغرب الإسلامي بيروت 1982،ص183 وما بعدها حيث تؤكد هذه الدراسات بداية الحروب الصليبية في الأندلس ثم في المشرق لإشغاله عن نجدتها

[3] ينظر وليام غاي كار: أحجار على رقعة الشطرنج،ترجمة سعيد جزائرلي،ط1،(دون ناشر)1970،ص58، 60، شيريب سبيريدوفيتش: حومة العالم الخفية،ترجمة مأمون سعيد،تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش،قصر الكتب البليدة الجزائر(دون تاريخ)ص25-26، عبد الله التل: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام،ط2،قصر الكتاب البليدة الجزائر 1989،ص53، حيث أدركت الدول الأوروبية دور اليهود المخرب وقاموا بطردهم فرنسا 1253م،بريطانيا 1255، النمسا 1420، هولندا 1444،اسبانيا 1492م وبالتالي طرد هذا الفيروس إلى بلاد العرب،ويقارن دور ابن سبأ، ليون روش، لورانس العرب، برنارد هنري عراب الربيع الصهيوني(تل الربيع_تل أبيب).

حتى العهد الموحدي كانت مدينة صغيرة تابعة ألبيرة،ثم ازدهرت بعد عصر الطوائف على يد بني الأحمر سنة 636هـ/1238م فكانت حصن وملاذ للمهاجرين من المدن المنكوبة بعد سقوط الموحدي التي كان بني الأحمر سببا في سقوطها بمساعدة فرديناندو عسكرياوهي قرمونة ،واشبيلية بعد عام ونصف حصار ،وشرش، وشذونة،وقادس،و شلوفة، وغليانة،وروضة،وأركش،وميناء سنتمرية،ودعوا هذه المدن للاستسلام بدعوى لا فائدة من المقاومة،وهدا جعل الأمراء المسلمين الآخرين يقلدون بني الأحمر في تسليم مدنهم للنصارى وفقا لا حسن الشروط كما يتصورون وحقنا للدماء كما يتوهمون وإبقاء على القرآن يتلى في البيوت ورغم هذا فقد كان الفرسان المسلمين يهربون إلى غرناطة على أمل الانتقام لكن نظام بني الأحمر العميل حال دون ذلك[1].

ونفس الدور مع محمد الفقيه الذي لعب بين التحالف مع قشتالة و التحالف مع المرينيين الذين عبروا إلى الأندلس وانتصروا لكن الصراع بين بني الأحمر وأصهارهم بني أشقيلولة في مالقة ضيع النصر، بل راح الغرناطي العميل إلى إرسال رأس الدون نونينو دي لارا مضمخة في الطيب في لفافة من الحرير ومعها خطاب اعتذار إلى ملك قشتالة وهذا شيء يعجز العقل عن تفسيره وتحليله والنتيجة إنهاء الثقة بين المغاربة وحكام غرناطة لدعم الجهاد الذي كان مطية لأغراض مادية،نفس العمالة قام بها أبو عبد الله المخلوع الضرير[2].

خاتمة:

خلاصة القول أن النصر لا يستورد ولا يشترى والجهاد فرض عين على أهل المنطقة،وغرناطة مملكة عميلة للنصارى مند تأسيسها على يد بني الأحمر ساهمت في سقوط مدن كثيرة في الأندلس فحق عليها القول أكلت يوم أكل الثور

---

[1] عبد الرحمن علي حجي:المرجع السابق،ص516،واشنطن ايرفنغ: أخبار سقوط غرناطة، ترجمة هاني يحي نصري،مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2000،ص 67،أحمد رائف:المرجع السابق،ص32 قارن ذلك بما قام به النظام الأردني العميل مند تأسيسه من طرف بريطانيا سنة 1921 وأنظمة الخليج وعلى رأسها النظام السعودي مند تأسيسه سنة1932

[2] ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق،ص98،عبد الرحمن علي حجي: المرجع السابق،ص524-562،واشنطن ايرفنغ:المرجع السابق،ص206،أحمد رائف:المرجع السابق،ص51-53 ،55.

الأبيض،وبالتالي كانت غرناطة خطة لابتلاع النصارى للأندلس وفي نية المسلمين خندق للصمود الذي لم يحدث لعمالة النظام من السلف إلى الخلف.

والمفارقة الفرق بين الفتح العربي الإسلامي للأندلس دون قتل للنساء والأطفال ولا قطع للأشجار إلا بعد رفض الإسلام وحكمه،بينما إبادة المسيحيون المسلمين إبادة تامة سنة 1492م باسم إعادة الفتح (Reconquesta)

4- أوجه صرف الموارد المالية الحفصية(634-982هـ/1229-1574م)

مقدمة:

يقوم النظام المالي على مؤسسات تقوم بجمع الأموال وتسمى الإيرادات وبنفقتها وتسمى المصاريف وكان السلطان الحفصي يستقبل في موضع المدرسة من القصر كل أسبوع يوم وزير الجند وفي يوم وزير المال المعروف بصاحب الأشغال وصاحب الطعام وصاحب الفضل أو كاتب السر، وكان وزير المالية له النظر المطلق في الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط، ثم ظهرت خطة المنفذ الخاص بنفقات دار السلطان وأصبح صاحب الأشغال يدفع أدونات الصرف دون مراقبتها[1].

ا-الجوانب السياسية:

صرفت الموارد المالية في الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة الحفصية، والصراع ضد القبائل العربية المتمردة و الحركات السياسية في الجريد وطرابلس و الزاب، و مصاريف الموظفين والقضاة وهي كالتالي:

1-الأسرة الحاكمة:

المصاريف تتعلق بالنفقات الاقتصادية والاجتماعية التي تصل إلى حد الترف ومصاريف الصراع على السلطة مثل ثورة ابن أبي عمارة الذي ادعى انه من الأسرة

---

[1]ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية, تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد العموري,الدار العربية للكتاب تونس طرابلس 1984، ص44 ،روبار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ، نقله إلى العربية حمادي الساحلي،ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت 1988،ص62،56،37، 66 وما بعدها

الحاكمة في سنة664هـ/1266م، ولقد كان جميع أقرباء السلطان يعيشون من هباته السخية ومن الجرايات التي كانوا يتقاضونها من الخزينة ، وكان لا يوجد فصل واضح بين الخزينة العمومية وبين صندوق السلطان[1].

2-الإدارة:

تمثلت أولا في كبار رجال الدولة وعددهم حوالي عشرة[2] ،وكذلك القضاة والولاة وغيرهم ،فقاضي الجماعة بتونس كان يتقاضى مبلغ غير مرتفع قدره خمسة دينار أي ما يعادل مائة وخمسين درهما ولا يحق للقضاة التذمر من قلة أجرتهم لان التعاليم الدينية لا تتسامح بمنحها لهم إلا في حدود احتياجاتهم الضيقة وقطع عنه حتى علف بغلته في أوقات كثيرة[3].

3- محاربة الأعراب المتمردين:

مثل تمرد الدواودة حيث وجه المستنصر الحفصي ضدهم حملتين عسكريتين اشرف عليهما بنفسه في سنة664هـ/1266م[4] وحركات التمرد وهيجان القبائل سنوات1261-1269م منها تمرد ملیانة سنة 659هـ/1261م بقيادة أبي علي بن أبي العباس[5] وتمرد بني سيلين بقيادة محمد بن سعيد بن صخر التي أخمدها الأمير عبد العزيز في رجب سنة 863هـ/ماي 1459م، وتمرد أبي الحسن التي أخمدت في سنة859هـ/1455م، وتمرد قبائل وسط افريقية أولاد مسكين وأولاد يعقوب وفرع الشنانفة من قبيلة أولاد مهلهل وأولاد سلطان وأولاد عون[6].

4-القضاء على الحركات الانفصالية:

---

[1] ابن الشماع:المصدر السابق ،ص48 ،87 ،روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص116-189،120

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص52-53، 114 ومابعدها

[3] روبار برنشفيك: المرجع نفسه،ج2،ص116-120

[4] الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس 1966 ص137، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص230

[5] الزركشي: المصدر السابق ص137، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص180، 187-188 ،197 ، 205،220

[6] الزركشي: المصدر السابق، ص137، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص287

مثل تمرد ابن الوزير بقسنطينة سنة680هـ/1282م[1] وإمارة بني مزني وسلطة ولاة كوكو وقلعة بني عباس[2].

5التحالفات السياسية الخارجية:

تمثلت في التحالف مع الفونسو ملك أرجونة سنوات1287.1291م[3] ومع الجمهوريات الايطالية الكبرى الثلاث البندقية وجنوة وفلورنسا والتي وان شكلت مصدر دخل فإنها في كثير من الأحيان مثلت نفقات هامة من خلال الهدايا الكثيرة و الباهضة، وكذلك مع المماليك في مصر خاصة في مناسبة مرور ركب الحجيج[4].

ب-الجوانب الاقتصادية:

1 مشاريع الري: أشار إليها سولينياك في كتابه مشاريع الري الحفصية وعبد العزيز الدولاتي في كتابه تونس في العهد الحفصي[5].

2- الاستثمار في الصناعة:

مثل إقامة المستنصر لمصانع النسيج خاصة الأقمشة الحريرية لخدمة رجال الدولة، وصناعة الصابون التي كانت محتكرة من طرف الدولة، وبالتالي هي مشاريع صرفت عليها الدولة الحفصية لتكون مورد مالي هام[6].

3- التجارة الداخلية:

من خلال تأسيس الأسواق لكسب أموال طائلة ، ومحاولة أحد أمراء قسنطينة الحفصيين إنعاش مدينة روسيكادا القديمة التي أصبحت تسمى سكيكدة ، ودلك بواسطة بعض الإجراءات المتخذة لفائدة التجار الأجانب وبفضل بقايا إحدى الطرق

---

[1] ابن قنفد القسنطيني: الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، نشر محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي،تونس1968 ،ص190-199،روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص113 ،140 ،244 ، 205،محمد قويسم:أسباب سقوط إمارة بني مزني في بسكرة،المجلة الخلدونية،العدد09 جانفي2011 محرم – صفر 1432هـ،ص181-191

[2] روبار برنشفيك: المرجع نفسه،ج1،ص287

[3] روبار برنشفيك: المرجع نفسه،ج1،ص132.138، 167

[4] روبار برنشفيك: المرجع نفسه،ج1،ص292 ،305.

[5] الزركشي:المصدر السابق،ص26، 33ـ38 ، 136 .144،عبد العزيز الدولاتي: مدينة تونس في العهد الحفصي، تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي،دار سراس لنشر تونس 1981، ص68.77، 128.136

[6] عبد العزيز الدولاتي: المرجع نفسه، ص68.77

الرومانية القديمة لأن موانى مدن عنابة والقل وسكيكدة كانوا منافذ بحرية لمدينة قسنطينة على بعد حوالي ثمانين كيلومتر[1].

ج- الجوانب الاجتماعية: تمثلت في عدة أمور هي:

1- بناء الزوايا:

التي كانت تسمى زاوية المبيت في عهد أبي فارس عبد العزيز وهي أول مارستان في تونس لإواء المرضى والعجزة, وترميم زاويتي الوليين محرز بن خلف واحمد بن عروس في تونس العاصمة بأمر من السلطان زكريا.

2- مساكن الحكام:

مثل قصور أبي فهر في عهد أبو عبد الله المستنصر ابن أبو زكرياء، وقصر البنات وقصر ابن فاخر، ومساكن رجال البلاط والإدارات المركزية كانت معظمها مجمعة في القصبة[2]، وكانت المنتزهات والضيعات الخاصة والقصور السلطانية خارج المدينة يلجأ إليها السلطان وحاشيته ليستريحوا من عيشة القصبة مثل المنشآت السلطانية برأس الطابية التي أوصلها المستنصر بالقصبة بواسطة ممر محاط بسور[3].

3- بنايات ضخمة :

مثلا ألابراج والقباب والقلاع والقصبات خاصة في العاصمة مدينة تونس، حيث حرص أبو زكريا الحفصي على نقل تنظيم قصبة مراكش إلى عاصمته وأتمها ابنه المستنصر[4]، وتدخل في هذا الإطار الأشغال المائية بواسطة الآبار والصهاريج والأحواض والخزانات والسبلات وترميم السلطان المستنصر للحنايا الرومانية من

---

[1] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص318

[2]ابن الشماع: المصدر السابق ص 102.101، 188.187،روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص384،373

[3] ابن قنفدالقسنطيني: الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، نشر محمد الشاذلي، عبد المجيد تركي، تونس 1968 ص309 روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص389.387

[4] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص378.371

زغوان إلى قرطاج حتى ضواحي أريانة على طول عشرة كيلومترات وقصر باردو مند عهد أبي فارس وعهد عثمان والمستوحى حسب اسمه من اسبانيا[1].

وبالنسبة إلى مدينة قسنطينة ترميم القصبة من طرف الأمير أبي زكريا ابن السلطان أبي إسحاق حوالي(685هـ/ 1285م) ثم من طرف القائد الوالي نبيل خلال القرن الخامس عشر، وكذلك الأسوار التي رممها أبو فارس بن أبي إسحاق سنة(682هـ/ 1282م) والتي كانت تحيط بكامل المدينة[2].

4- المساجد:

مثل جامع الهواء من طرف الأميرة عطف زوجة أبي زكريا وام المستنصر، وجامع باب البحر في مدينة تونس ، وجامع قصبة مدينة تونس، وقدرت الإحصائيات التاريخية زيادة جوامع الخطبة أكثر من أي فترة سابقة في مدينة تونس الحفصية بثمانية جوامع للخطبة هي جامع الزيتونة، جامع القصبة ،جامع القصر، جامع الهواء أو التوفيق، جامع الزيتونة البراني أو جامع باب البحر الذي بناه الدعي الفضل سنة(683هـ/ 1283م) ،جامع باب السويقة، جامع سيدي يحي السليماني قرب باب العسل، جامع سيدي جعفر بالتبانين في ربض باب السويقة، وهذا دون حساب بعض الجوامع الأخرى مثل جامع الحلق وجامع السلطان أو جامع الصفصافة والمساجد الأخرى الصغيرة التي لاتقام فيها صلاة الجمعة، وبالنسبة لمدينة قسنطينة الجامع الأعظم وجامع القصبة [3].

5. المساعدات الاجتماعية للسكان: مثل توزيع الخبز بوفرة على السكان في مجاعة في شتاء سنة(862هـ/1458م) بالعاصمة تونس حيث انعدمت المؤن في مدينة تونس وبلغ سعر القمح أربعة دنانير وسعر الشعير دينارين وقد اشتكى الناس إلى السلطان الذي أمر بفتح المخازن الخاصة ليصنع منها ألف خبزة توزع على الفقراء

---

[1]الزركشي: المصدر السابق، ص38 ،143،136 ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص177 ،روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص384.385

[2] ابن قنفذ القسنطيني المصدر السابق،ص362، 390 ،393ـ394،ابن الشماع:المصدر السابق ،ص72، 132 ،روبار برنشفيك: المرجع السابق ،ج1،ص319.320

[3]ابن الشماع: المصدر السابق،ص36،67 ، 59 ، 115 ،235،128 ،ابن قنفذالقسنطيني:المصدر السابق ، ص356، الزركشي: المصدر السابق،ص140، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص375.376، 421

وقد دامت هذه العملية ثلاثة أشهر حتى امتلأت الأسواق وأصبحت الأسعار في متناول الجميع[1] .

د-المجال الحربي:

1- الفتوح ونشر الإسلام :

تمثلت في المساعدات المالية للأندلس من اجل الصمود في وجه حرب الاسترداد القشتالية مثل إعانات السلطان عثمان إلى ملوك غرناطة سنة(868هـ/1463-1464م) ومن قبله جده السلطان أبو فارس الذي اهتم بالأندلس[2].

2- ضد الزيانيين والمرينيين :

من خلال حملات عبد العزيز أبو فارس وحملة أبو عمرو عثمان سنة(867هـ/1462م) وفي سنة(871هـ/1466م)، أو العكس الحملات المضادة من طرف الزيانيين والمرينيين التي بدأت فيها مصاريف طائلة لمواجهة الغزاة ، الغزوة المرينية الأولى سنة(757هـ/ 1357م) والغزوة الثانية سنة(758هـ/ 1358م) والغزوة الثالثة سنة(770هـ/ 1370م)[3].

3- ضد الحملات الصليبية :

على تونس والمهدية والقل وقسنطينة وجربة وقرقنة5الحملات الصليبية: مثل الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، والحملة الفرنسية الجنوية، ونزول بيدرو ملك أرجونة بمدينة القل بالتعاون مع ابن الوزير سنة(680هـ/1282م) وحملة ارغون ضد جزيرة قرقنة سنة(827هـ/1424م) ومحاولة الفونسو الخامس احتلال جربة واحتلال شار الخامس مدينة تونس وتدميرها سنة(942هـ/1535م)

---

[1] الزركشي: المصدر السابق ص150، 158، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص287، عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص94

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص291

[3] عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق،ص64،شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية،ج2، تعريب بشير بوسلامة ومحمد مزالي، الدار التونسية للنشر تونس 1983 ص236

حتى سنة(982هـ/1574م) مما قضى على كل الأعمال العمرانية والمعمارية التي قام بها الحفصيون واشتشهد معظم سكان المدينة[1].

هـ-الجوانب العلمية:

1 - المساجد والزوايا:

كثرت عدديا سواء المساجد الجامعة أو المساجد الصغيرة مثل مساجد المدن الكبرى في مدينة تونس العاصمة وفي مدينة قسنطينة (المسجد الكبير) ، أما الزوايا فزادت أيضا مند القرن الثالث عشر وازدهرت خلال القرنين اللاحقين ازدهارا كبيرا والتي ترتبط التصوف منها الزوايا التي أسسها السلطان ابوفارس في مدينة تونس[2].

2 -المدارس :

أهمها المدرسة الشماعية التي أسسها أبو زكريا في سوق الشماعين قرب جامع الزيتونة سنة(640هـ/ 1240م) وهي أول مدرسة في شمال افريقية تهتم بالتدريس وإيواء الطلبة بإستثناء المدارس الموحدية داخل القصور وهي مدرسة عمومية مثل المدارس التي ظهرت في المشرق، ثم بنت عطف زوجة أبو زكريا بعد وفاته مدرسة التوفيقية أو مدرسة الهواء الملاصقة للجامع الذي يحمل نفس الاسم ،ثم المدرسة المعرضية من طرف السلطان أبي زكريا بن أبي إسحاق قبل(682هـ/ 1282م) ، ثم مدرسة عنق الجمل أو العنقية من طرف أخت أبي يحي أبي بكر سنة(741-742هـ/ 1341-1342م)، ثم ظهرت مدارس الأضرحة مثل المشرق أولها مدرسة الحاجب ابن تافراجين التي دفن فيها سنة(764هـ/ 1364م)، والمدرسة المنتصرية من طرف المنتصر التي أتم بناءها أخوه عثمان سنة(837-838هـ/ 1437-1438م) وغيرها من المدارس[3].

---

[1] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص80-94 ، 113، 350،عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص64-94،

[2] الزركشي: المصدر السابق، ص36 ،67 ،101-102 ، 128 ، 187-235،188روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص380-385، ابن الشماع:المصدر السابق،ص 59 ، 115 ، ابن قنفد القسنطيني:المصدر السابق ، ص356، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص375-376

[3]الزركشي:المصدر اسابق،ص101، 114 ،116 ،135، روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج1،ص375-383

كما أن التعليم كان يتم في ثلاث مؤسسات الجامع والزاويا والمدرسة ومجانا بل إن السلطان أبو زكريا بن أبي إسحاق الأول منح الطلاب منحا من الذهب والفضة واسند إلى المدرسين أجور عالية تقدر بعشرة دنانير في الشهر[1].

3 -إقامة المكتبات:

مثل مكتبة القصر أو المكتبة الملكية في قاعة فسيحة تعرف بالمدرسة يستقبل فيها السلطان كبار رجال الدولة، ومكتبة الزيتونة ومكتبة القصبة التي جمع فيها أبو زكريا الأول حوالي ثلاثين ألف مجلد ورغم تخريب ابن الليحاني لها عمرها السلطان أبي العباس وأبي فارس عبد العزيز والمكتبة العبدلية التي أسسها أبو عبد الله الحسن سنة(906هـ/1500م)[2].

خاتمة:

من خلال ماتقدم اتضح أن الخزانة العامة غير منفصلة عن صندوق السلطان،مصاريف الصراعات السياسية كثيرة، مصاريف الحروب من خسائر ضخمة بينما المصاريف المتعلقة بتموين وتسليح الجيش ضعيفة ونفس الشيء الاهتمام بالصناعة ضعيف بدليل ضعف الأسطول الحربي والتجاري مما جعل الحفصيين يلجؤون إلى كراء السفن الأجنبية للتجارة وحتى نقل الحجاج، مصاريف القضاة زهيدة ومصاريف الجوانب الاجتماعية والثقافية لا تتعدى لفتات كرم لإرضاء الناس.

[1] عبد العزيز الدولاتي:المرجع السابق، ص83

[2] عبد العزيز الدولاتي: نفس المرجع ، ص82.84

5- منطقة سطيف في كتب الرحلة والجغرافيا في العصر الوسيط

مقدمة:

منطقة سطيف عامرة بالسكان مند العصر الحجري العتيق(1.4.4.4مليون سنة) من خلال موقع عين حنش قرب العلمة[1]،و هي جزء من نوميديا منذ القديم، وهي من مدن المغرب الأوسط في العصر الوسيط بين مدينتي بجاية وقسنطينة، ومع ذلك كان لها دور كبير حيث ذكرها عدة رحالة وجغرافيون مند القرن الثالث إلى القرن العاشر الهجري، ومنه السؤال التالي كيف وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمين خلال العصر الوسيط.

جاء ذكر مدينة سطيف في كتب الرحالة والجغرافيا على التوالي:

1- اليعقوبي (ت284هـ/897م) ذكرها بقوله[2]:

«ومدينة يقال لها:سطيف بها قوم من بني أسد بن خزيمة [3]عمال من قبل ابن الأغلب»، ذكر اليعقوبي مدينة سطيف في القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي وهو شيء مهم حيث لم يذكر مدن أخرى كبرى مثل

---

[1] حول موقع عين حنش ينظر محمد الصغير غانم:مواقع ماقبل التاريخ في بلاد المغرب القديم،دار الهدى للنشر والتوزيع عين مليلة2006،

Grégoire camp ,les civilisations préhistoriques du l'Afrique du nord et sahara ,doin paris 1980

[2] البلدان،وضع حواشيه محمد أكمين ضناوي، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2002،ص190

[3] ابن حزم الأندلسي:جمهرة انساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون،دار المعارف القاهرة 1971،ص حول بني أسد بني خزيمة عمال بني الأغلب على مدينة سطيف منهم ثعلبة وكبير...

قسنطينة وبجاية وبونة، لكنه اكتفى بذكر ولاتها من بني أسد بني خزيمة في عهد الدولة الأغلبية[1] .

2- الاصطخري(ت322هـ/934م) وصفها بقوله[2]:

«أنها مدينة كبيرة بين تاهرت والقيروان وأنها عبارة عن كورة تشتمل على قرى كثيرة متصلة يقطنها أفراد قبيلة كتامة»، حيث تطورت سطيف بعد الضعف الذي أصابها في نهاية فترة الاستدمار البيزنطي وبداية الفتح الإسلامي، فزاد سكانها وتطور عمرانها[3].

3- ابن حوقل(ت367هـ/977م) وصفها بقوله[4]:

«مدينة سطيف كثيرة الخير تقارب ميلة والمسيلة وتصاقب القسنطينة، وبربرها بالصورة التي ذكرتها من بذل الطعام والأولاد وكان أصل ما استباحهم به أبو عبد الله الداعي على بذل أولادهم لاضيافهم،فاني سمعت أبا علي بن أبي سعيد يقول انه ليبلغ بهم فرط المحبة في إكرام الضيف أن يؤمر الصبي الجليل الأب والأصل الخطير في نفسه بمضاجعة ضيفه ليقضي منه نهمته وينال منه الحرام وربما وقعت شهوة احد الباطل في جليل من فرسانهم وشجعانهم فلا يتمنع عليه من مطلب من الباطل ويرى ذلك كرما وفخرا والإباء عنه عارا ونقصا، وليس نرى بكتامة التي بسطيف ولا بغيرها شيئا من هذا الأمر ولا يجيزونه ولا يستحسنون ذكره، وكتامة التي بهذه الناحية متشيعون وبهم ظهر أبو عبد الله الداعي واخذ المغرب».

---

[1] حول دولة بني الأغلب التابعة للخلافة العباسية ينظر ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي القاهرة2002،الذي ذكر طبنة محمد الطالبي:الدولة الاغلبية184.296/800.909 التاريخ السياسي، نقله إلى العربية المنجي الصيادي،دار الغرب الإسلامي بيروت1985،ص141، 646.648، 707.710،مختار حساني:سطيف خلال فترة الحكم الإسلامي، الملتقى الوطني سطيف أثار حضارة وتطور 28.30 أفريل1997،وزارة الاتصال والثقافة الجزائر2004،ص79.82

[2] المسالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال الحسين، مراجعة محمد شفيق الغربال، القاهرة 1961،ص34

[3] ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص76،74.

[4] صورة الأرض، ليدن هولندة 1938،ص93.96،إسماعيل العربي:المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1985،ص176،أحمد عزاوي:نصوص محللة في تاريخ الغرب الإسلامي،مطبعة ربانيت ديور الجامع الرباط المغرب2008،ص103.

مما سبق نجد ابن حوقل أشار فقط لموقع مدينة سطيف وراح يروي قصة غريبة عن كتامة فيها كثير من العنصرية ضد كتامة ، إكرام الضيف بمبيت الأطفال أو رب البيت من أجل الرعاية وإظهار الأمان للضيف وليس غرضه شيء آخر إلا إذا كان الضيف هو الفاسد، وابتلاء كتامة بالشيعة لطيبة أهلها وحبهم لآل البيت الذي تستر الشيعة به واستخدموا البطش في السيطرة على بلاد المغرب حيث فني رجال كتامة في الحروب ومع ذلك تعالي الشيعة وعنصريتهم جعلهم يصفون هذه القبيلة بالغباء والعادات الفاسدة ،هذا الفساد هو فيهم مثل زواج المتعة وغير ذلك.

4- البكري(ت487هـ/1094م) قال عنها [1]:

« ومدينة سطيف على مرحلتين من المسيلة... و هي مدينة كبيرة جليلة أولية[2] كان عليها سور خربته كتامة مع أبي عبد الله الشيعي، لأنها كانت في

---

[1] البكري:المصدر السابق،ج2،ص 745،إسماعيل العربي:المدن المغربية...،ص176،دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1980،ص236.

[2] هي مدينة قديمة ليبو نوميدية كانت عاصمة للنوميد من225ق م حتى تحول يوبا إلى شرشال،ثم تأسست في فترة الاستدمار الروماني (sitifus) من ازديف النوميدية بمعنى التربة الخصبة أو نسبة إلى قبيلة ورسطيف من طرف الامبرطور نيرفا سنة 97م مستعمرة لقدماء الجيش بإسم كولونيا نيرفانيا،كولونيا أوغيسطا، كولونيا مارطاليس،كولونيا فتير نانة وستيفاسنيوم، وفي نهاية القرن3 ق م اعتبرت سطيف عاصمة موريتانيا السطايفية بعد أن قسم ديوكرتيان موريتانيا إلى قسمين قيصرية وسطايفية سنة 297م ،ومن مدنها جيملة نسبة إلى قبيلة نوميدية حورت إلى جميلة وهي كويكول الرومانية(cuicul) ،ذات الطابع العسكري مثل سطيف ،و في فترة الاستدمار البيزنطي كانت سطيف عاصمة موريتانيا السطايفية ينظر: محمد الهدي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي،المؤسسة الجزائرية للطباعة1995،ص214،خديجة منصوري:ستيفيس الرومانية :نشأتها وتطورها، الملتقى الوطني سطيف أثار حضارة وتطور ،28.30افريل1997،وزارة الاتصال والثقافة الجزائر2004،ص22.41، مفتاح خلفات: قبيلة زواوة 06هـ-9هـ/12م-15م دراسة سياسية عمرانية اقتصادية اجتماعية ثقافية،أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط،إشراف عبد العزيز فيلالي، والمشرف المساعد بن عميرة محمد ،السنة الجامعية2009-2010،ص408،يحي شامي:موسوعة المدن العربية والإسلامية،دار الفكر العربي بيروت لبنان1993،ص164

paul louis cambuzat,l'évolution des cités du tell en ifrikya du vii au xi siècle,office des publications universitaires, Alger1986,p22,stephane gesell,atlas archeolologique de l'Algérie,otto zeller verlag osna bruck1973,p17

الأول لكتامة ثم غلبتهم عليها العرب،وكانوا يعشرونهم إذا دخلوها، وهي اليوم دون سور لكنها عامرة كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار ،وبين سطيف والقيروان عشر مراحل[1] ،وبينها وأقزرنة عشر مراحل أيضا، ومدينة تاناجللت[2] على مرحلة من مدينة سطيف وعلى مقربة من مدينة ميلة المذكورة قبل هذا، ومدينة تاناجللت مدينة لكتامة عامرة آهلة ليس بها مسجد »

في تعريف البكري نجد تحديد لموقع مدينة سطبف بالنسبة لمدينة المسيلة والقيروان،ثم ذكر سورها الذي مازالت آثاره حتى اليوم، ثم ذكر سكانها من كتامة ثم العرب من بني أسد بني خزيمة ومن بني عسلوجة، حيث دمر سورها سنة 904م من طرف كتامة وعبد الله الشيعي حيث قتل واليها الأغلبي علي بن جعفر المعروف بابن عسلوجة وأخيه حبيب من قبيلة أسد بن خزيمة،وأخيرا ذكر كثرة الأسواق ورخص الأسعار مما يعني كثرة السلع وهي قضية اقتصادية تتعلق بقانون السوق[3].

5- الشريف الإدريسي(ت547هـ/1151م) قال عنها أيضا[4] :

---

[1] المسالك والممالك،ج2، حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليوفن،أندري فيري، الدار العربية للكتاب،بيت الحكمة قرطاج تونس1992،ص745،إسماعيل العربي:المرجع السابق،ص176،ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1988،ص71، كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود السور والحي الإسلامي ينظر كتاب سطيف في العهد الإسلامي بالمتحف الوطني سطيف بين القرنين الثاني والثامن الهجريين الثامن والثاني عشر الميلاديين، الجزائر عاصمة الثقافة العربية2011،ص ص117، 119، 123.

[2] وردت تاناقللت وتاناكللت وهي تاجنانت اليوم قريبة من مدينة سطيف رغم أنها إداريا تابعة إلى ميلة،ينظر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الأربعاء 9صفر عام 1406هـ، المحرر بالجزائر في 3 شوال عام 1405هـ الموافق22 يونيو سنة 1985،ص1623.1624 حول ولاية سطيف ،ص1638 حول ولاية ميلة التي تتبعها تاجنانت حاليا

[3] ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص75،مختار حساني: المرجع السابق،ص81

[4] القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983،ص169.170 ،إسماعيل العربي:المدن المغربية...،ص177،ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص72، 75

E,carette,origine et migrations des principales tribus de l'Algerie,paris Imprimerie Impériale ,md cccliii,p94

« وعلى مقربة من بجاية إلى جهة الجنوب حصن سطيف وبينهما مرحلتان[1]، وحصن سطيف كبير القطر كثير الخلق كالمدينة وهو كثير المياه والشجر المثمر بضروب من الفواكه ومنها يحمل الجوز لكثرته إلى سائر البلاد وهو بالغ الطيب وبين سطيف قسنطينة أربع مراحل ،وبقرب سطيف جبل يسمى ايكجان[2] وبه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع، وكان قبل هذا من عمالة بني حماد، ويتصل بطرفه من جهة الغرب جبل يسمى جلاوة وبينه وبين بجاية مرحلة ونصف »

يتضح تحديد الإدريسي لموقع مدينة سطيف بالنسبة إلى مدينة قسنطينة وبجاية،ثم كثرة السكان ومازالت منطقة سطيف حتى اليوم تضم أكبر ريف في الجزائر،ثم ذكر الثراء الاقتصادي خاصة الفواكه منها الجوز الذي يصدر إلى البلدان وذو نوعية جيدة،وصفها بالحصن لان عمرانها ضعف بسبب الصراع بين صنهاجة وزناتة وتحكم القبائل الهلالية في الجهات القريبة من سطيف[3].

وأضاف الادريسي:[4]**«وقبيلة كتامة تمتد عمارتها إلى أن تجاوز أرض القل وبونة، وفيهم كرم وبذل طعام لمن قصدهم، أو نزل بأحدهم، وهم أكرم الرجال**

---

[1] المرحلة هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة وهي 24 ميل أي حوالي 39 كلم ينظر محمد قويسم: مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط، مجلة كان التاريخية، عدد13، القاهرة سبتمبر 2011،ص56.

[2] جبل كتامة الذي استقر فيه الداعي الفاطمي، أبو عبد الله، ومنه انتشرت دعوة الشيعة بلاد المغرب ينظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ،تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للترجمة والنشر والتوزيع تونس ،د م ج الجزائر 1986، ص155.156، 198.200، موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1979،ص193 وما بعدها،بوبة مجاني: النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296.362هـ/909.973م(الجزائر. ليبيا . تونس . المغرب)،دار بهاء الدين الجزائر، عالم الكتب الحديث الاردن2010،ص 78.79

E,carette,op,cit,p94

[3] ،ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص75،76.

Ben Messaib(xviii),Itinéraire de Tlemcen a la mekke, Alger ,Constantine , paris,Revue .Africaine ,n44, 1900,pp,268, 278

[4] الإدريسي الشريف:المصدر السابق،ص170، إسماعيل العربي:المدن المغربية...،ص177 أورد هذه الحكايات أيضا ابن حوقل نقلا عن أبي علي بن أبي سعيد ولكنه علق عليها، وهو سائح تجول في هذه المنطقة بقوله

للأضياف، حتى استسهلوا مع ذلك بذل أولادهم للأضياف النازلين بهم، ولا تتم عندهم الكرامة البالغة إلا بمبيت أبنائهم مع الأضياف ليتلقوا منهم الإرادة، ولا ترى كتامة بذلك عارا، لا ترجع عن ذلك البتة، وقد أصابتهم الملوك بذلك وأبلغت في نكايتهم، فما أقلعوا ولا أمتنعوا عن عادتهم في ذلك، ولا تحولوا عن شيء منه،ولم يبق من كتامة في وقت تأليفنا لهذا الكتاب إلا نحو أربعة آلاف رجل، وكانوا قبل ذلك عددا كثيرا وقبائل وشعوبا، وأعف قبائل كتامة، وأقلهم فعلا لهذا الفن من كان في جهة سطيف لأنهم من القدم لا يرون ذلك ولا يستجيزونه ولا يستحسنون فعل شيء من هذه المنكرات التي تأتيها قبائل كتامة الساكنون في جهة القل وبجبالها المتصلة بإقليم قسنطينة الهواء»أعاد الإدريسي الاتهام العنصري لكتامة بالأخلاق الفاسدة لكن حدده في جهة القل فقط مع تحديد وطن كتامة وعددها بعد فناء رجالها في الحروب التي أشعلها الشيعة[1].

6-مجهول :الاستبصار(ق 6هـ) ذكر مدينة سطيف **[2]:**

«مدينة سطيف بينها وبين ميلة مرحلة،وهي مدينة قديمة أزلية كان عليها سور صخر قديم خربه أبي عبد الله الشيعي،ومدينة سطيف رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه والثمار، غزيرة المياه والأنهار والبساتين والأشجار» نفس وصف البكري و الإدريسي[3] .

وليس نرى بكتامة التي بسطيف ولا بغيرها شيئا من هذا الأمر ولا يجيزونه ولا يستحسنون ذكره ينظر صورة الأرض ص95.93، وفي ص63 ذكر يضيفون المارة ويطعمون الطعام ويتخلق قوم منهم بخلق ذميم من بذل أنفسهم لأضيافهم على سبيل الإكرام ولا يحتشمون من ذلك وأكبرهم وأجملهم كأصغرهم في بذله نفسه لضيفه حتى يلح به وقد جاهد على ذلك أبو عبد الله الداعي لبعضهم إلى أن بلغ بهم كل مبلغ فما تركوه، ويورد ابن سعيد المغربي قول حول جبل الأوراس ثم يتصل بذلك جبل أوراس المشهور الذي كانت فيه الكاهنة ،وسكانه أهل دعارة وعصيان لا يدخلون تحت طاعة سلطان لامتناع جبلهم العريض الطويل ينظر كتاب الجغرافيا تحقيق ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي ،ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1982،ص145

[1] موسى لقبال:المرجع السابق،ص194.

[2] مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصار،ج6،نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد العراق1985،ص166، إسماعيل العربي:دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية،...،ص236،ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص74.

[3] ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص75،مختار حساني:المرجع السابق،ص81

7-ياقوت الحموي(ت621هـ/1224م) وقال عنها:[1]

« بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وآخره فاء: مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب وهي صغيرة إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم، ومنها خرج أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المسمى بالمهدي»، يعتبر ياقوت الحموي أول جغرافي يضبط إسم سطيف لأعجميته،ثم ذكر غناها بالمزارع والعشب[2].

8-أبو الفدا إسماعيل المؤرخ وحاكم مدينة حماة في بلاد الشام(ت721هـ/1320م) وصفها بقوله[3]**:**

« **بأنها مدينة كبيرة»**، أي أن مدينة سطيف ظلت تحافظ على ازدهارها حتى القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي[4]

9-الدمشقي الأنصاري شمش الدين عبد الله(ت727هـ/1326م) اكتفى بذكرها بقوله:

«**وسطيف مدينة والغدير وفاو وباديس حصنان**»[5] وهو دون شك تعريف موجز لكنه وصفها بكونها مدينة وذكر مدن أخرى في منطقتها مثل الغدير الذي يرتبط بسطيف حيث يتفرع عند الغدير طريق سطيف المسيلة إلى طريق يتوجه إلى طبنة عاصمة الزيبان[6].

10-صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي(ت739هـ/1338م) وصفها في كتابه مراصد الاطلاع الذي هو مختصر كتاب البلدان لياقوت الحموي بقوله**:**

---

[1] معجم البلدان، مجلد3، دار صادر بيروت لبنان1977،ص220 ،إسماعيل العربي:المدن المغربية...،ص178.

[2] ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص74، 76.

[3] تقويم البلدان،ص92

[4] ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص74

[5] تحفة الدهر في عجائب البر والبحر، سان بطرس بورغ روسيا 1866،ص237.

[6] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق،ج2،،ص70.

«سطيف بالفتح ثم الكسر ثم ياء مثناة من تحت وآخره فاء مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان ببلاد المغرب»[1] المهم في التعريف ذكر موقعها التضاريسي في جبال كتامة دون أن يحدد هضاب أو سهول عليا.

11-القلقشندي(ت821هـ/1418م): وقال عنها [2]**:**

« ذكر ومنها سطيف بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء.وهي مدينة من الغرب الأوسط في الإقليم الثالث قال في الأطوال حيث الطول سبع وعشرون درجة[3] **والعرض إحدى وثلاثون درجة وهي مدينة حصينة، بينها وبين قسنطينة أربع مراحل ولها حصن في جهة الجنوب، عن بجاية على مرحلتين منها، ولها كورة**[4] **تشمل على قرى كثيرة غزيرة المياه كثيرة الشجر المثمر بضروب من الفواكه ،و بها الجوز الكثير ومنها يحمل إلى سائر البلاد»** ضبط الاسم مثل الحموي وأبو الفدا، ثم حدد موقعها بالنسبة إلى بجاية وقسنطينة،ثم كورتها دون تحديد أي اسم وأخيرا ثرائها بالفواكه خاصة الجوز.

12-الحسن الوزان الفاسي(ت947هـ/1550م) وضح بقوله:[5]

«سطيف مدينة بناها الرومان على بعد ستين ميلا جنوب بجاية، بعد قطع كل الجبال،في سهل جميل جدا، وهي محاطة بأسوار مبنية بحجر جميل ضخم مكعب، وكانت في العصور الغابرة متحضرة جدا كثيرة السكان،لكنها انحطت مند الفتح الإسلامي، وخصوصا عند مجيء الأعراب الذين حطموا جزءا من أسوارها، ولم يبق

---

[1] مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، المجلد الثاني، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت 1992،ص714

[2] صبح الأعشى،ج5، المطبعة الأميرية القاهرة مصر 1915،ص110.111، إسماعيل العربي:المدن المغربية...،ص178

[3] الدرجة :هي قدر مانقطعه الشمس في يوم وليلة وتنقسم الدرجة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية والثانية إلى ستين ثالثة وحاليا ضبطها العلم المعاصر ب111كلم ينظر محمد قويسم:المرجع السابق،مجلة كان التاريخية،عدد13،ص56

[4] الكورة: كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة تجمع اسمها ينظر محمد قويسم:المرجع السابق،عدد 13،مجلة كان التاريخية ،ص59

[5] وصف إفريقيا،،ج2،تحقيق وترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1983 ،ص362.363،

منها سوى مائة دار مسكونة، لكن موقعها الفسيح مازال قائما كما شاهدت ذلك عند سفري من فاس إلى تونس».

مر الحسن الوزان بسطيف في طريقه من فاس إلى تونس قبل أن يقع في الأسر عام 1520 م ويتنصر على يد البابا،حيث ذكر ماضي سطيف الحافل و حدد بنائها من طرف الرومان، ثم موقعها بالنسبة إلى مدينة بجاية، ثم ذكر سورها، وأخيرا قال عن تدهورها مند الفتح الإسلامي خاصة على يد الأعراب من بني هلال حيث لم يبق من سكانها سوى100 دار، مما يعني 500 نسمة وهو عدد قليل، وبذلك اختفت سطيف كمدينة ولم تعد طيلة العهد العثماني سوى محطة للفرق العثمانية في انتقالها بين مدينتي الجزائر وقسنطينة حيث تأسست أبراج المدن لحفظ الأمن مثل برج بوعريرج وبرج زمورة[1].

خاتمة:

خلاصة القول أن منطقة سطيف رغم وقوعها قرب مدن هامة مثل بجاية وقسنطينة وقلعة بني حماد ، *جلبت انتباه الرحالة والجغرافيين المسلمين خلال العصر الوسيط من اليعقوبي في القرن الثالث الهجري إلى الوزان في القرن العاشر، وشمل وصفهم لها ضبط الاسم لفظا ،وذكر جوانب اقتصادية واجتماعية في غاية الدقة مثل الثراء الاقتصادي وكثرة السكان مازالت هذه الخصائص* موجودة حتى الآن.

[1] ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ج2،ص76، المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني،ج2، القرصنة الأساطير والواقع،دار القصبة للنشر،الجزائر2009،ص ص129.128،مختار حساني:المرجع السابق،ص82،هاينرش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا،تر،د أبو العيد دودو،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع1979،ص 178.169 حيث ذكر مالتسان أن إسمها فينيقي مستمد من كلمة (setif) وتعني الفيضان وذكر تدهورها العمراني بعد الفتح العربي مثل ماذكر الوزان وهذا مايتناقض مع ما أجمع عليه الجغرافيون والرحالة العرب في العصر الوسيط حيث وصفوا سطيف بالمدينة والتدهور حدث في العهد العثماني وبداية الاستدمار الفرنسي طيلة القرن التاسع عشر.

6- مؤسسة البريد ودورها الأمني عند المسلمين في العصر الوسيط (ق1-10هـ/ق05-15هـ)

مقدمة:

البريد مصدر مشتق من برد وابرد بمعنى أرسل البريد أي أرسل الرسل على دواب البريد(1) وبعضهم يجعل لفظة بريد فارسية مشتقة من كلمة بريده دم بمعنى مقصوص الذنب وذلك أن الفرس كانوا يقصون ذنب بغل البريد تمييزا له عن غيره من البغال(2) وقد انتقلت كلمة بريد العربية إلى اللاتينية veredus, بمعنى خيل

البريـد لكـن البريـد كـان معـروف عنـد الفـرس والـروم البيـزنطيين باسـم الطـرق العامةcursos publicosأو Beredos (3)

وجاء في كتاب العين سكك البريد كل سكة فيها 12 ميلا والسفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة أربعة برد 48 ميلا بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال" إذا أبردتم إلى بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم" بذلك يتضح الأصل العربي لكلمة بريد، فاللغة العربية أم اللغات الكبرى في العالم.

1-البريد في العهد الأموي:

ويعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من استحدث البريد في الإسلام حيث اقتبسه من الروم، وجعله تابعا لنظام الرسائل حتى تصل إليه بسرعة و أجرى عليه بعض التحسينات مثل إقامة مراكز أو محطات أو منازل في الطرق الرئيسة الموصلة إلى أقاليم الخلافة واستخدمت الخيل و البغال و الإبل فكانوا يضعون مضمرات الخيل في عدة أماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرسا مستريحا وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة ، وفي عصر عبد الملك بن مروان الذي يعتبره البعض منشأ البريد أمر بألا يبقى صاحب البريد ينظر متى أتى إلى العاصمة ليلا أو نهارا وأستمر الأمر هكذا حتى نهاية الدولة الأموية.(4)

2- البريد في العهد العباسي:

وفي العصر العباسي أصبح لموظفي الدواوين عامة منها البريد مكانة هامة وكانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة كالدواة والكرسي الوسادة والمسند والحشية وهي أدوات كانت تستخدم في الكتابة والجلوس في الديوان وفي عصر أبي جعفر المنصور مؤسس بغداد تطور تنظيم ووسائل البريد من اجل الوقوف على أحوال الولايات والكشف عن حركات التمرد والثورة والقضاء عليها في وقتها وقد زاد ارتباط عمال البريد في عهده بالعاصمة بغداد مباشرة دون أن يخضعوا لنفوذ الولايات

وكان هؤلاء العمال البريديون إلى جانب عملهم الأساسي وهو نقل الرسائل يشتغلون بالتجسس على كبار الموظفين ومراقبة الولاة ولهذا السبب حظي صاحب ديوان البريد في عصر المنصور بمكانة عالية تسمو مكانة الوالي نفسه،

وكان المنصور يقول« ما أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر، و لا يكون على بابي اعف منهم، فقيل له: يا أمير المؤمنين من هم?قال هم أركان الملك لا يصلح الملك إلا بهم... أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية... والرابع، ثم عض على إصبعه السبابة ثلاث مرات، يقول في كل مرة آه آه، قيل ومن هو يا أمير المؤمنين ? قال صاحب بريد يكتب إلى بخبر هؤلاء على الصحة»(5) ومما سبق ذكره تتضح مهمة البريد الأمنية الاستخباراتية لأمن الدولة والمجتمع في الفكر السياسي لواحد من كبار الخلفاء المسلمين.

وفي عهد الخليفة العباسي المهدي زادت أهمية البريد فأقيمت له في سنة 166هـ/788م محطات بين مكة والمدينة واليمن و أتخدت له البغال والإبل، خاصة بعد ثورة الحسنيين في الحجاز،

وأصبح لديوان البريد أهميته إبان النزاع بين الأمين والمأمون، فعندما تبين المأمون نوايا الأمين ضده بادر بقطع البريد عنه في سنة 194هـ/816م (6).

كما ظهرت أهمية البريد في عصر المعتصم عندما تولى عجيف مهمة القضاء على حركات الزط بالبصرة وأمكنه بفضل البريد من إبلاغ الخليفة بكل أخبار قمعه لها، فأمر الخليفة بترتيب الخيل في كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار، فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل إلى المعتصم من يومه، كذلك أدى البريد مهمة أساسية في تصدي المعتصم لحركة الخرمية والمحمرة ولولا سهولة الاتصال بمواضع البابكية عن طريق طرق البريد لما أمكن لقادة المعتصم أن يقضوا على بابك وكان المعتصم يوجه إلى الافشين كل يوم منذ أن رحل من برزندة إلى أن وافى سامراء فرسا وخلعة، وكان المعتصم لشدة اهتمامه بأمر بابك وأخباره ولفساد الطريق بسب الثلج(7).

ورغم ما يبدوا أن الدولة العباسية أهملت البريد في بداية عهدها أيام السفاح والمنصور والمهدي حيث كان البريد لا يشد له سرج ولا تلجم له دابة ولعل السبب في ذلك وفرة الأمن والاستقرار(8)، ولما تولى هارون الرشيد أعاد الاهتمام بالبريد للاطمئنان على سلامة أقاليم الدولة والوقوف على أحوال المسلمين فيها إضافة إلى الاطمئنان على سلامة أجناد المسلمين وأخبارهم،

ومن الجدير بالذكر أن بني بويه قطعوا البريد حين تولوا أمر المسلمين حتى تخفى على الخليفة الأخبار، إلا أن السلاجقة أعادوا للدولة البريد وأولوه عناية بالغة.

3- البريد في عهد المماليك:

وقد عين نور الدين محمود النجابة واعدت الخيول المنتخبة لحمل البريد بين مصر والشام وسار على النهج الملوك والسلاطين الأيوبيون والمماليك وهو العصر الذي عرف فيه البريد أوج تطوره ولعب فيه دوره الأمني الهام ضد الصلبيين(9).

حيث استخدم أيضا الحمام الزاجل في نقل الرسائل وكان يعرف بجناح المسلمين واستخدم الحمام في الحروب الصليبية أيضا وتوسع المماليك في مصر في هذا النظام وافردوا لبريد الحمام ديوانا خاصا وألفوا جرائد ودفاتر بأنساب الحمام كما فعل العرب بالنسبة للخيل وكانوا يطوقون أرجل الحمام بخلاخل من الذهب ويربطون في أعناقه ألواحا لتتميز أنواعه وقد كان المسلمون يستعملون في أثناء الحرب اصطلاحات اصطلحوا عليها تتعلق بأجنحة الحمام وكانت لحمام الرسائل أبراج كثيرة في مصر المملوكية يتولى البراجون الإشراف عليها وكانت القلعة مركز هذه الأبراج(10).

أما خيول البريد في عصر المماليك فكان يشرف عليها موظف يلقب بالبريدي، بينما كان المشرف على الجمال يلقب بالنجاب، ويؤثر عن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس أنه ربط أجزاء دولته بشبكة متصلة من المواصلات البرية والجوية لنقل الرسائل وكان مركز هذه الشبكة قلعة الجبل بالقاهرة التي يتفرع منها أربع طرق برية: احدها يتجه إلى قوص بالصعيد والثاني إلى عيذاب على البحر الأحمر، والثالث إلى الإسكندرية، والرابع إلى دمياط ويمتد إلى غزة، ومن غزة تتفرع مسالكه

إلى الشام والحجاز، وكانت محطات البريد مزودة في عهده بكل ما تحتاج إليه البريديون من زاد وعلف وخيول(11).

واستخدم المماليك البريد في نقل أخبار العدو وتحركه ومواقعه وقوة قواته,وسلاحه,وعتاده ,وأماكن قيادته ,ومناطق شئون إدارته ,وأماكن أماكن أهم الأمور وأنفعها ولقد ظهر هذا النظام وتطور في عهد الظاهر بيبرس بشكل لم يعرف من قبل ,وحدد عام ظهوره(في عام 659هـ/1260-1261م) وكانت هناك أساليب له,أسرعها إبقاء النيران على رؤوس الجبال أو الأماكن العالية ليلا,والدخان نهارا ذلك انه عندما كانت الحروب بين المغول والمماليك وكان من جملة احتياطات تامين المملكة أن جعلوا هذه المناورة للإعلام بحركة المغول,وقد رصد في كل موقع "الددبان "وهي اصطلاح مملوكي يعني النظارة لرؤية العدو والإعلام بقصده,وكان لهؤلاء الحراس الجوامك المقررة لذلك وهم مرتبون من الفرات إلى غزة ,فإذا حدث أن تحرك المغول أوقدوا النيران إن كانوا ليلا أو ثاروا الدخان إن كانوا نهارا,فيصل ذلك في أسرع وقت من الفرات إلى غزة ثم يرسل الحمام البريدي من غزة إلى مصر فيعلم ذلك في اليوم واحد هذه بجانب أن البريد كان وسيلة الاتصال بين القاهرة وثكناتها في الشام وغيرها (12).

وقد تنبه المماليك إلى منفعة البريد والذي عظم شانه في سياسة الدولة و إصدار الأوامر للجيش وحمل المكاتبات الغائبة في أسرع وقت ,بما يضمن صحة تنفيذ التوقيت الاستراتيجي والتكتيكي للموقعة أو المعركة في الوقت المناسب .كما سبق أن أسلفنا , فلقد اعتنى به بيبرس البندقداري فرتبه سنة(669هـ/1271م) ووضع له نظاما ارتبطت بمقتضاه جميع أنحاء مملكته شبكة خطط البريد البري و الجوي ، ويقع على طول خطوط البريد كثيرا من المحطات على مسافات لا تزيد إحداها ثمانية وعشرون ميلا وكانت هذه المحطات تزود بما يحتاج إليه الموظفون والخيل ماء الطعام وعلف و مبان لسكنى الموظفون ومن هذه المحطات يستطيع البريديون أن يغيروا خيولهم بخيول أخرى .وبهذا يضمن وصول الأوامر والتعليمات إلي القوات في الوقت المناسب ،ولم يقتصر الأمر علي هذا .بل كان البريديون يختارون من الأشخاص الذين عرفوا بإخلاصهم بعملهم واتصفوا بالفطنة والذكاء .لأنهم لم يكونوا

مجرد رسل يحملون الأوامر والتعليمات للقوات أو رسائل مختومة إلي الملوك .بل كانوا يكلفون أحيانا بمهمة توصيل أخبار السلطان المسافر به إلي بعض الملوك والأمراء (13).

ويصف القلقشندى البريدي وما يجب أن يتحلى به من الصفات .إذ يقول أن صفات البريدي أن يكون "قديرا علي تنويع الكلام وتحسين العبارة وسماع شهادة المرسل إليه ورد جوابه وإقامة الحجة عليه .وتصحيحا لفكرة والمزاج إذا أبدى وعارضه وليبدو استحكام حجته .وان يكون بصيرا بمخارج الكلام .وأجوبته مؤديا إلي الألفاظ السهلة في معانيها .وصادقا وبريئا من الطمع(14).

وقد عرف البريدي أيضا بالسواق." لأنه يسوق خيل البريد كما أن لكل محطة بعض من السياس يعنون بأمر الخيول لتكون صالحة لقطع المسافات المقررة علي أكمل وجه وأسرعه .ولم يكن يسمح بركوب خيل البريد إلا بمرسوم سلطاني(15)علي أن البريديون لم يكونوا في هذا العصر طبقة واحدة:فمنهم من يحمل البريد العادي إلي الولاة والنواب .فإذا أحسنوا القيام بأعمالهم وأصبحوا موضع ثقة السلطان .ومحل سره .عهد إليهم بحمل الرسائل الهامة إلي الملوك .لهذا لا نعجب إذا أصبح للبريديين في عصر سلاطين المماليك مكانة كبري حتى كانوا يمنحونهم الأرزاق السخية والخلع الثمينة أسوة بكبار رجال الدولة(16).

وكان يشرف على البريد صاحب ديوان الإنشاء أو كاتب السر وهو من أكبر موظفى الدولة كما كان يسمى مند أيام قلاوون وقد عهد إنشاء حفظ ألواح البريد بالديوان على إرسال بريد السلطان وإذاعة أوامره مما يدل على ما كان البريد من شان و أهمية في ذلك العصر إذا وصل البريد إلى القاهرة تلقاه كاتب السر والدوادار وهدا الأخير من موظفي الحاشية وصحباه إلى السلطان فيسلم ما عنده من بريد بحضور هؤلاء جميعا، وكان للبريد ألواح من فضة مخلدة بديوان الإنشاء تحت أمر كاتب السر بالأبواب السلطانية وكان باللوح كتب تعلق به شرابة من حرير اصفر ذات بندين يضعها البريدي في عنقه لتظهر للناس فإذا خرج الى جهة من الجهات يعلم الناس انه البريدي وبواسطة ذلك تذعن له أرباب المراكز بتسليم خيل البريد ولا يزال كذلك حتى يذهب ويعود فيعيد ذلك اللوح إلى ديوان الإنشاء(17).

وقد ذكر الخالدي أنه كان للبريديين رئس مباشر أطلق عليه اسم مقدم البريدية يضطلع بمهام البريد ويشرف على شؤونه و يعمل على النهوض به ويرجع في النهاية إلى كاتب السر للموافقة على ما يقدمه هدا الموظف من الاقتراحات وكان مقدم البريدية يقوم بعمل صاحب البريد عند الأمويين والعباسيين ويليه في الرتبة سبعه من الموظفين أطلق عليهم اسم المقدمين يتولى كل منهم أعمال البريد يوما في كل أسبوع ويعرض أعماله في نهاية كل يوم على مقدم البريدية (18) .

ولقد بلغ نظام البريد في عهد المماليك البحرية عامه وعهد بيبرس والناصر خاصة مبلغا عظيما من الدقة والإحكام وكان له دور كبير في صد غارات المغول التي طالما هددت مصر كما ساعد على تفقد الأحوال في مختلف أنحاء السلطنة والإلمام بكل كبيرة وصغيرة سواء على مجريات الأحداث التكتيكية في الحرب أو عن الأعمال الولاة ونواب في السلم وكان هدا بمثابة سلاح الإشارة للقوات المسلحة في وقتنا الحالي.والتي مازالت بعض هذه الإشارات تستخدم حتى الآن والتي تسمى "الإشارات المرئية"نهارا "الإشارات الضوئية "ليلا وخاصة للقوات البحرية ، ولم يقتصر سلاطين المماليك البحرية علي البريد العادي في إرسال الرسائل .بل استخدموا "الحمام الزاجل"وكان له براجون يعتنون به و يدربونه،فيأخذونه بعيدا عن برجه و يتركونه حتى يعود إليه ثم يزيدون في المسافة شيئا حتى يستطيع الحمام أن يقطع مسافات بعيدة (19).

وكما سبق أن أسلفنا.فقد كانت القلعة مركز أبراج الحمام الزاجل.كما كانت له مراكز معينة في جهات مختلفة كمراكز البريد الجوي .ولكن تزيد عنها في المسافات وكانت له محطات أشبه بمحطات البريد البري.ولكن قد تصل المسافة بين كل محطة وأخري من محطات البريد الجوي إلي ثلاثة أمثال البريد البري,وخصص لكل محطة من المحطات ومثيلتها من المحطات الأخرى من محطات البريد الجوي عدد من الحمام يعني بشئونه موظفون أخصائيون ,وإذا أراد السلطان إرسال رسالة من الحمام ,وضعت تحت جناحه ,فإذا وصل إلى المحطة التالية نزع البراج هذه الرسالة ,وعلقها في جناح طائر آخر فيوصلها إلى المحطة التي تليها(20).

وفي كل محطة من المحطات الحمام برج أو أكثر يحفظ فيه الحمام الذي يستخدم في حمل الرسائل إلى المحطة التالية ,ولا شك إن تسلم الرسالة من الطائر وشدها إلى أخري في كل محطة تستغرق الكثير من الوقت ولكن لهذه الطريقة ,بالإضافة إلي ذلك مزايا حربية لا يستهان بها,حيث يربط القيادة بسائر الولايات وكذلك التشكيلات والقوات بسائر الولايات .وكانت إدارة بريد الحمام تحت إشراف حكام الأقاليم ,أما رواتب البراجين فلم تقل عن رواتب زملائهم من البريد البري(21).

وقد جرت العادة لزيادة الاطمئنان و الثقة وخاصة من الناحية الحربية أن تكتب الرسالة من صورتين ترسلان مع حمامتين تطلق أحدهما بعد إطلاق الأخرى بساعتين حتى إذا تأخرت أحدهما ووصلت الأخرى أخذت البطاقة من تحت جناحها وتركت حتى تعثر على رفيقتها لئلا تكون قد نزلت في برج من أبراج المدينة أو افترستها الجوارح أو وقعت في أيدي الأعداء(22).

وقد نظم نقل البريد بواسطة الحمام طبقا للخطوط ويلاحظ أنها تغطي جميع أنحاء السلطنة في جميع الاتجاهات وبالتالي تؤمن حدود السلطنة من أي أخطار خارجية تهدد الحدود وهي تؤمن من جميع الاتجاهات الإستراتجية للدولة وهي كالأتي:

+بين القاهرة والإسكندرية+ بين القاهرة ودمياط+ بين القاهرة والوجه القبلي قوص وأسوان+ بين القاهرة ودمشق عن طريق غزة والقدس+بين برثة بضواحي الكوفة وقيصرية+ بين حلب والرقة على نهر الفرات+ بين دمشق وصيدا و بيروت وطرابلس+ بين غزة والكرك على البحر الميت+ بين دمشق وبعلبك(23).

4- البريد في بلاد المغرب الإسلامي في عهد الفاطميين والزيانيين:

وفي بلاد المغرب كان البريدي الذي يحمل الأخبار يسمى عندهم بالرقاص، وهو ما يعكس العلاقة بين البريد والوقت في معالجة الأمور المهمة، مع العلم أن البريد في الأندلس لا يختلف عنه في المشرق الإسلامي وكان متولي البريد يعرف بصاحب البريد، (24) ،

وعند الفاطميين استمر ديوان البريد كما وجدوه من قبلهم في بلاد المغرب وكان أول أمره من مصالح ديوان الجيش لكنه انفصل عنه لما اتسعت مهمته وتشعبت

حيث استعمل لنقل عموم المراسلات الحكومية وغيرها واستخدمه ولاة افريقية قبل الفاطميين لنقل السجلات والأوامر الإدارية بينهم وبين الحكومة الإسلامية في المشرق وبينهم وبين عمالهم وقواد الجيش في مختلف المدن والأقاليم واستعملت في مصلحة البريد عدة وسائل للتخاطب والتفاهم منها الحمام الزاجل المربى لهذا الغرض وكذلك النار وغالبا ما استعمل بين المراكز والثغور البحرية في حالة توقع خطر خارجي واستعملت الخيول المضمرة السريعة(26).

وممن تولوا ديوان البريد عند الفاطميين في عهد عبيد الله المهدي أبو جعفر محمد بن احمد بن هارون البغدادي الذي تولاه سنة (300هـ/914م) واستمر حتى وفاته وصاحب الخبر منصب آخر عند الفاطميين، أما في مصر فقد كان القائد جوهر هو الذي يوقع على الرسائل والقصص حتى قدم العزيز فوقع الى أن تولى يعقوب ابن كلس أمر الوزارة فلما كانت أيام المستنصر افرد لأبي جعفر محمد بن جعفر المغربي ديوان الإنشاء فوليه فترة طويلة حتى أيام أمير الجيوش بدر الجمالي وصار العلماء يتنافسون على ولاية الديوان فوليه الأثير بن بنان والموفق ابن الخلال والقاضي الفضل(27).

وصاحب البريد في دولة بني عبد الواد كان يقوم بحفظ بعض الأسرى ذوي الأهمية الخاصة ونقلهم إلى عاصمة الدولة تلمسان أثناء الحروب مثلما حدث مع صغير بن عامر بن إبراهيم عندما استراب منه السلطان أبي سعيد عثمان الثاني وأخيه أبي ثابت الزعيم فقبض عليه وأشخصه معتقلا مع صاحب البريد إلى عاصمة الدولة وكذلك السلطان أبي حمو موسى الثاني(723-791هـ/1323-1391) وولده أبي تاشفين عندما انتهت المعركة بمصرع عبد الله بن صغير أمر ابن تاشفين بحز رأسه وطير به البريد إلى أبيه، ومنه يمكن القول إن صاحب البريد كان يقوم بحفظ الأسرى المهمين ويقوم بالصلاحيات الأخرى مثل إيصال المراسلات والأمانات إلى حيث توجه والتجسس لصالح السلطان عبر المناطق التي يعبرها صاحب البريد وكان صاحب البريد جزء من الإدارة المركزية والمحلية للدولة وهو ليس صاحب الخبر الذي هو منصب آخر (27).

الخاتمة:

البريد من أهم المؤسسات الإدارية في الإسلام ، وبطريقة طردية كلما زاد تطور الدولة العربية الإسلامية زاد دور البريد في حفظ الأمن عند العباسيين والفاطميين والمماليك وفي بلاد المغرب الإسلامي أيضا عند الزيانيين، فضلا عن دوره الظاهري إيصال الأمانات إلى أهلها رسائل وطرود.

التهميش والمصادر والمراجع المعتمدة:

(1) ابن منظور : لسان العرب، ج3، دار صادر بيروت, (د ت)، ص86 ،فتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ط14 ،دار الفكر العربي القاهرة، 2004 ص96.

(2)عبد المنعم محمد حسنين: قاموس الفارسية، فارسي عربي، دار الكتاب اللبناني بيروت ،ودار الكتاب المصري القاهرة 1982، ص103.

(3) محمود نديم ،أحمد فهيم:الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة1983، ص 171-172.

(4) الفراهيدي خليل :كتاب العين ،ج8 ،تحقيق مهدي المخزومي ،إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بيروت (د ت)، ص29، الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح ج،1تحقيق محمود خاطر ،مكتبة لبنان ناشرون بيروت 1995 ،ص19 ،السيد عبد العزيز سالم:محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2000 ، ص 70-72، فتحية النبراوي: المرجع السابق، ص96.

(5)الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،ج9،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،ط2،دار المعارف بمصر(د ت)،ص297، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص73.

(6) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص73-74.

(7) السيد عبد العزيز سالم: نفس المرجع ، ص74.

(8) القلقشندي:المصدر السابق، ج14 ،ص370، فتحية النبراوي: المرجع السابق ص97.

(9) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج2، طبعة بولاق القاهرة 1270 هـ، ص405 ،فتحية النبراوي: المرجع السابق ، ص97.

(10)عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص74.

(11)القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا ،ج1،القاهرة 1913، ص58،محمود نديم وآخر:المرجع السابق ،ص171-172 ،عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ،ج1 ،مطبعة الانجلو مصرية، القاهرة ،1968 ص61.

(12)القلقشندي :المصدر السابق، ج14 ،ص363 ،محمود نديم وآخر: المرجع السابق ،ص 172 ،وكان رجال البريد تابعين للدوادار الذي كان من أمراء المماليك وربما يطمع في العرش وربما يعاون السلطان ولكنهم الحقوا في نهاية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي بديوان الإنشاء ومند ذلك الحين كانت الأسرار البريدية يقدم بها موظف من أرباب القلم لا مطمع له في العرش انظر هامش رقم واحد محمود نديم وآخر: المرجع السابق ،ص 172.

(13)المقريزي : المصدر السابق، ج2 ،ص211، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1 ،تحقيق، محمد مصطفى القاهرة 1311هـ، ص108، القلقشندي المصدر السابق ، ج14 ،ص372 ،محمود نديم وآخر: المرجع السابق ص 173.

(14) القلقشندي المصدر السابق، ج2 ،ص115، محمود نديم وآخر: المرجع السابق، ص 173.

(15) القلقشندي : المصدر السابق، ج1، ص114، محمود نديم وآخر: المرجع السابق ،ص 173، فتحية النبراوي: المرجع السابق، ص97.

(16) محمود نديم وآخر : المرجع السابق، ص 173

(17)القلقشندي: المصدر السابق، ج14، ص391 ،محمود نديم وآخر: المرجع السابق ص 174.

(18)القلقشندي: المصدر السابق، ج14 ،ص391-392 ، المقريزي: المصدر السابق ،ج2 ،ص211 ،محمود نديم وآخر: المرجع السابق، ص 174.

(19)خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس 1891،ص116 ،محمود نديم وآخر: المرجع السابق ص 174.

(20)القلقشندي: المصدر السابق ،ج1 ص118، المقريزي :المصدر السابق، ج2 ص231-232 ،محمود نديم وآخر: المرجع السابق ص 174.

(21)المقريـزي: المصـدر السـابق ،ج1 ص226، القلقشـندي: المصـدر السـابق، ج1،ص143، 397، العمـري : التعريـف بالمصـطلح الشـريف، القـاهرة 1312هـ ص199، الأنصاري ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال ،القاهرة (د ت)، ص12-15.

(22) نفسه

(23)ابن خلدون:العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر، مج 7 ، دار الكتاب اللبناني بيرو ت (د ت)، ص246، 285.

(24) ابن عذاري : البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق كولان ج س ،ليفي بروفنسال بيروت (د ت) ،ص169 ،فتحية النبراوي: المرجع السابق، ص96-97.

(25) محمد الصالح مرمول : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983، ص196.

(26) نفسه.

(27) بوزياني الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1993، ص 198-199.

7- منطقة سكيكدة في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب خلال العصر الوسيط

مقدمة:

تعتبر منطقة سكيكدة منطقة ساحلية في الشمال الشرقي للجزائر ،ذكرها بعض الرحلة والجغرافيين في مؤلفاتهم خلال العصر الوسيط، بداية من اليعقوبي في القرن الثالث الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي، إلى كربخال مارمول في القرن العاشر الميلادي الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، و هذا المقال يوضح هذا الوصف للمنطقة ممثلة في مدينة سكيكدة، ستورة، القل.

1-اليعقوبي(ت284هـ/927م):

عند الحديث عن الزاب ومدنه ذكر ميلة بقوله: «**وسواحل البحر تقرب من هذه المدينة ولها مرسى يقال له: جيجل،ومرسى يقال له قلعة خطاب، ومرسى يقال له أسكيدة ، ومرسى يقال له ملر، ومرسى يقال له مرسى دنهاجة،وهذا البلد كله عامر كثير الأشجار والثمار وهم في جبال وعيون**»(اليعقوبي.2002. 190)،وكلمة أو لفظة أسكيدة غير مفهومة وغير معروفة في اللهجات الحالية ولعلها

باللغة الليبية القديمة أم هذه اللهجات البربرية أو الامازيغية(مها عيساوي2009. 63-64).

2. البكري(ت487هـ/1094م):

قال عند ذكر مدينة قسنطينة:« **و بينها وبين مرسى سقدة مسيرة يوم»**(البكري1992.ج2. 729) سقدة بكسر السين،أي بين مدينة سقدة ومدينة قسنطينة مسيرة يوم وهي حوالي 80كلم(محمد قويسم2011. 57).

وذكر نفس الوصف في كتاب آخر بعنوان:معجم ما أستعجم،ج3، بمعنى معجم أو قاموس ماكان غير مفهوم عند الناس منها مرسى سقدة(البكري1980. 140)، وبالفعل مازالت هذه الكلمة سقدة أيضا غير مفهومة المعنى حتى في اللهجات المحلية ولعلها من اللغة الليبية القديمة أم هذه اللهجات.

3. الإدريسي(ت 547هـ/1151م):

ونفس الشيء ذكر الإدريسي عند حديثه عن مدينة قسنطينة ذكر:« **ومنها إلى مرسى القل يومان في أرض العرب... وذكر عن القل: ومن جيجل إلى مدينة القل سبعون ميلا وهي آخر مدن هذا الجزء المرسوم، والقل قرية عامرة ،وكانت في سالف الدهر مدينة صغيرة عامرة،والآن هي مرسى، وعليه عمارات،والجبال تكنفه من جهة البر، ومن القل إلى مدينة قسنطينة مرحلتان جنوبا، والطريق في أرض تغلبت العرب عليها،وأضاف بقوله: وقبيلة كتامة تمتد عمارتها إلى أن تجاور أرض القل وبونة، وفيهم كرم وبذل طعام لمن قصدهم،أو نزل بأحدهم وهم أكرم الرجال للأضياف،وأضاف ومن القل إلى مرسى استورة عشرون ميلا** (الإدريسي1983 .169-170) والميل هو1.6 كلم وبذلك تكون المسافة بين القل ومرسى ستورة أكثر من30 كلم عبر الطريق الجبلي المختصر القريب من الساحل (محمد قويسم2011. 57).

4. مجهول (ت 587هـ/1191م):

صاحب الاستبصار ذكر مدينة القل:« **وهي مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم وهي على ضفة البحر وهي مرسى مدينة القسطنطينة وهي كثيرة**

الفواكه والخيرات والعنب فيها كثير، وفيها تفاح جليل ولها نظرة وجباية عظيمة وهي برية بحرية»(مؤلف مجهول د ت. 77) .

5-ياقوت الحموي(ت623هـ/1225م):

ذكرها في معجمه في حرف السين كمايلي:« **سكدة: بفتح أوله، وسكون ثانيه: بلد على ساحل بحر إفريقية بقرب من قسطنطينة الهواء**»،ودائما دون شرح لمعنى هذه الكلمة خاصة وان الرحالة والجغرافيين المشارقة لايعرفون اللهجات المحلية ولم يسالوا عن معناها(ياقوت الحموي د ت.230).

6. ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1268م):

وصفها بقوله:«**وفي شرقيها قاعدة الغرب الأوسط بجاية...وفي شرقيها القل، وهي فرضة مشهورة في ساحل قسنطينة الهوى،وبينهما أربعون ميلا**»(ابن سعيد المغربي1982. 142)،وهنا يوضح ابن سعيدالمغربي مثل الإدريسي(الادريسي1983. 161)وأبوالفدا(أبوالفدا 1980. 137) والقلقشندي(القلقشندي.1915.ج5. 109) والحميري(الحميري.1984. 80) أمر مهم هو: أن مدينة بجاية جزء من بلاد المغرب الأوسط وليس افريقية بل وهي قاعدة الغرب الأوسط وهذا الأمر ينطبق على ما يجاورها من المدن أيضا مثل القل وسكيكدة وحتى بونة ومرسى الخرز التي هي آخر مملكة بجاية(بوناني الطاهر2000. 01-06).

وعند ذكر مدينة قسنطينة ذكر ابن سعيد المغربي القل بقوله:« **وموضوع قسنطينة في جنوبيها القل**»(ابن سعيد المغربي.نفس المصدر.) لأنة ميناء من المواني التي ترتبط بها مدينة قسنطينة بالبحر الشامي أو البحر الأبيض المتوسط(إسماعيل العربي1983. 193).

7-صفي الدين عبد المؤمن البغدادي(ت739هـ/1339م):

ذكر مدينة سكيكدة بقوله:« **سكدة بالفتح ثم السكون: بلد على ساحل بحر افريقية،قرب قسطنطينية الهواء**»،أي الفرق بالكاف سكدة وليس سقدة كما ذكر البكري وهو فرق في النطق فقط، ويبقى المغنى أيضا غير معروف(صفي الدين عبد المؤمن البغدادي1992. 722).

8- ابن رستة(ت300هـ/912م):

جاء في كتابه الأعلاق النفيسة عند حديثه عن مدينة ميلة:« **أن لها مرسى يقال له جيجل ومرسى يقال له قلعة خطاب ومرسى يقال له أسكيدة ومرسى يقال له مادرة ومرسى يقال له مرسى دنهاجة**»(ابن رستة 1892 .32)،أي ذكرت بالكاف مثلما ذكرها صفي الدين البغدادي مع إضافة الألف في الأول ثم ياء في وسط الكلمة.

9-الوزان الفاسي (ت947هـ/1550م):

قال عن مدينة سكيكدة مايلي:«**مدينة أزلية بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة عن قسنطينة بنحو خمسة وثلاثين ميلا خربها القوط(الوندال) في الزمن الغابر،إلا أن أمير قسنطينة، نظرا لمينائها الجيد،أمر ببناء منازل ومخازن للجنويين الذين كانوا يتجرون في البلاد، بل أنشأ أيضا قرية في أعلى جبل مجاور يقيم بها حارس على الدوام للإخبار بالسفن المتجهة إلى الميناء،يتجر سكان جبل سكيكدة كثيرا مع الجنويين، فيدفعون لهم القمح مقابل أقمشة وغيرها من منتوجات أوروبا**»(الوزان الفاسي1983.ج2. 54).

وأضاف الوزان الفاسي عن مدينة سكيكدة بقوله:« **ويمتد بين هذا الميناء وقسنطينة طريق مبلط بحجارة سوداء على نحو ما يشاهد في ايطاليا من بعض الطرق المسماة بالطرق الرومانية، وهذا ما يدل دون شك على أن سكيكدة من بناء الرومان**»(الوزان الفاسي.نفس المصدر.ج2. 54-55).

وعن مدينة القل ذكر الوزان الفاسي مايلي:« **القل مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط عند قدم جبل شاهق،وليست مسورة لأن القوط(الوندال) هدموا أسوارها،ثم أن المسلمين لما حكموها تركوها على حالها، وهي مع ذلك مدينة متحضرة مليئة بالصناع،وأهلها ظرفاء كرماء، تجارتهم رابحة**»(الوزان الفاسي:المصدر نفسه.54).

ويضيف:« لأنهم يجنون من جبالهم الكثير من الشمع،ويمتلكون كمية عظيمة من الجلود يبادلون بها البضائع التي يحملها أهل جنوة إلى مينائهم،والأراضي الزراعية منتجة لكنها توجد في الجبل،ويعيش السكان متحررين لأنهم لم يفتأوا

يدافعون عن أنفسهم ضد ملك تونس وأمير قسنطينة،إذ تفصل بين القل وقسنطينة جبال شاهقة ومسافة مائة وعشرين ميلا،ويتألف نصف أراضي القل من جبال يسكنها رجال شجعان أبطال،وليس على ساحل مملكة تونس مدينة أغنى من القل، لأنها بدأت تحقق في تجارتها مع الجنويين أضعاف أضعاف ما تعطيه إياهم،ثم تبيع بالتقسيط في الجبال المجاورة البضائع الماخودة من الجنويين محققة بذلك أرباحا طائلة»(الوزان الفاسي:المصدر نفسه.54).

10- كربخال مارمول (ت979هـ/1571م):

ذكر مدينة سكيكدة بقوله:« **مدينة عتيقة بناها الرومان فوق جبل عال يمتد طرفه إلى البحر عند خليج نوميديا، تقع شمال قسنطينة على بعد اثنى عشر ميلا منها، جعلها بطليموس عند تسعة وعشرين درجة طولا واثنتين وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة عرضا، واسمها عنده طاكاسي، كان القوط قد دمروها»**(كربخال مرمول1984. 07) الأصح مدينة فينيقية بنى فوقها الرومان مدينتهم، واسم طاكاسي لعله مأخود من الضرائب لأنها كانت ميناء تجاري(Neji Djelloul 2011. 384).

ويضيف:« ولكن وجود مرسى جيد بها جعل عامل قسنطنة يبني على ساحل البحر عدد من المخازن والملاجيء للتجار الأوروبيين الذين يقصدون هذه المدينة للتجارة،كما أمر ببناء حصن بأعلى جبل مجاور به حراسة دائمة، ويقايض سكانه مع الأوروبيين في عدد من البضائع مقابل ماعندهم من حنطة وأغطية ومنسوجات, وتربط هده المدينة بقسنطينة طريق الالتواء فيها، مبلطة بحجارة كبيرة سوداء مماثلة لتلك لطرق التي عبدها الرومان في كل من ايطاليا واسبانيا إلا أن المياه قد أفسدت أماكن من هذه الطريق»(كربخال مرمول1984. 07).

وأضاف قائلا عن استورة:«**اشتورة مدينة قديمة على مسافة أربعة عشر فرسخا من القل إلى جهة الشرق في خليج اشتورة،أو خليج نوميديا وفيها يوجد مرسى قسنطينة ويجعلها بطليموس عند سبع وعشرين درجة وأربعين دقيقة طولا واثنين وثلاثين درجة عرضا واسمها عنده روسيكاد،وهي غير حصينة لان أسوارها مهدمة وعدد مافيها من الدور المسكونة لا يتعدى مائتين، ويوجد بين هدا المرسى والمرسى السابق ثالث تعرف بمرسى الجنويين، ومن عادة السفن أن ترسو به إذا**

قويت الزوابع لأنه مستور من رياح الشمال ومن الرياح التي تهب من الشرق وتعرف بريح الإغريق ولاتوجد فيه عمارة إلا ما كان من مساكن قوم من البربر توجد داخل البلاد، وتوجد عندهم الحنطة ويمتلكون عددا من الخيل والماشية»(مارمول كربخال:المصدر نفسه،ج3،ص6-7) أي ذكر أصله الفينيقي روسيكادا أو رأس الوقاد وهي النار التي كانت توقد فوق تلة بوعباز لإرشاد السفن(محمد الصغير غانم2003. 213).

أما عن القل فذكرها بقوله:« **مدينة عتيقة يقال أنها من بناء الرومان، جعلها بطليموس عند سبع وعشرين درجة طولا إحدى وثلاثين درجة عرضا وزيادة خمس وأربعين دقيقة ويسميها مدينة القل العظمى،وموقعها عند قدم جبل يمتد على ساحل البحر في خليج نوميديا، كانت في الماضي كثيرة السكان، وكانت لها أسوار عالية، هدمها القوط عندما انتزعوا المدينة من الرومان ولم يقع تجديد بناء تلك الأسوار بالرغم من كون المدينة مركزا لتجارة مهمة ومقرا لعدد كبير من التجار والصناع،أهلها طيبون متمدنون بفضل التعامل التجاري مع أوروبا،إذ هي مقصودة لشراء الشمع والجلود وغيرها من البضائع،وفي الأراضي المجاورة لها من جهة الجبل تكثر الحنطة والمواشي ومختلف أنواع الفواكه»**(مارمول كربخال:المصدر نفسه،ج3،ص6).

وأضاف بقوله: « **كان سكانها في الماضي يعيشون أحرارا طلقاء وكانوا قادرين على مدافعة ملوك تونس وحكام قسنطينة الذين تفصلهم عنهم جبال شديدة الارتفاع تمتد إلى ابعد من أربعين فرسخا أي 120 ميلا،يضاف إلى ذلك أن معظم بلادهم جبال يسكنها برابر، وزواوة متميزون بشجاعتهم وإقدامهم، لذلك لم تكن مدينة أغنى من مدينتهم هذه،إذ كانت تستطيع تجنيد عشرة آلاف من المقاتلين،وقد استسلمت فيها بعد للاتراك، ولهم فيها حامية دائمة،ويقوم الحاكم في الجزائر بتعيين وال عليها يكون تابعا لحاكم قسنطينة، وهو الذي يتولى استخلاص جباية الإقليم بكامله،وله حرض على الرفق بالسكان وإبعاد العسف عنهم»**(مارمول كربخال:المصدر نفسه،ج3،ص6) وامتداد جبال القل على طول

أربعين فرسخا أي 120 ميلا، لان الفرسخ ثلاثة أميال وبالكيلومتر أكثر من 180 كلم(علي جمعة 2002. 36).

خاتمة:

أن منطقة سكيكدة بمدنها الثلاث سكيكدة وستورة والقل ذات الأصل الفينيقي الكنعاني حظيت بوصف الرحالة والجغرافيين الغرب مند وقت مبكر القرن الثالث الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي رغم وقوعها على في الشمال على سواحل البحر الأبيض المتوسط.

وفيما يخص اسم مدينة سكيكدة في العصر الوسيط ذكره الجغرافيون والرحالة العرب بعدة ألفاظ تاسقدة، سقدة، سكدة، سكيدة، وأسكيدة دون توضيح المعنى في للهجات الحالية أو في اللغة الأم اللغة الليبية القديمة، ويبقى الإشكال كيف تحول اسمها إلى الاسم الحالي سكيكدة أي السكة الكأداء أي الصعبة لان المدينة تقع في وادي بين تلتين تلة بوعباز في الشرق وتلة سبع بيار في الغرب.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1-الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ،تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.1983

2- البكري:المسالك والممالك,ج2، تح ،تق،،أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب ، المؤسسة الوطنية للترجمة والترجمة والدراسات بيت الحكمة تونس .1992

3- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار،معجم جغرافي،تحقيق إحسان عباس ،مكتبة لبنان بيروت،لبنان.1984

4- ابن رستة: كتاب الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل ليدن هولندة.1892

5- ابن سعيد المغربي: الجغرافيا،تحقيق إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982.

6- صفي الدين عبد المؤمن البغدادي:مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي،مج 2، دار الجيل بيروت.1992

7- أبو الفدا عماد الدين: تقويم البلدان،دار صادر بيروت (دت).

8- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج5، دار الكتب السلطانية، المطبعة الاميرية ،القاهرة ،مصر .1915

9-كربخال مرمول: إفريقيا،ج3، تر، محمد حجي،محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق،أحمد بنجلون، دار نشر المعرفة للطباعة والتوزيع، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر الرباط ،المغرب.1984

10- الوزان الفاسي:وصف إفريقيا،ج1-2، تر محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983.

11- ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج3،دار صادر بيروت (د ت)

12- اليعقوبي:البلدان،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، منشورات دار الكتب العلمية بيروت لبنان .2002

13- مؤلف مجهول :كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نش ، تع سعد زغلول عبد الحميد، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة بغداد العراق (د ت).

ثانيا: المراجع:

1-بونابي الطاهر: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/12-13 الميلاديين،أطروحة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي،إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي،معهد التاريخ جامعة الجزائر1419-1420هـ/1999-2000م.

2-جمعة علي:المكاييل والموازين الشرعية ، منشورات علاء سرحان دار الرسالة القاهرة 2002

3- العربي إسماعيل: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر.1984

4- عيساوي مها: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، دراسة تاريخية لغوية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني، جسور للنشر والتوزيع الجزائر.2009

5- غانم محمد الصغير:معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر،دار الهدى للنشر والتوزيع ، عين مليلة أم البواقي الجزائر.2003

6- قويسم محمد: مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط،مجلة كان التاريخية،عدد13، السنة الرابعة،سبتمبر ايلول 2011 شوال1432هـ

7-Djelloul Neji,les cotes du maghreb a l'époque médievale ,tome 1,publications de la faculté des letters des Arts et des Humainité - Manouba,Tunisie 2011.

8-عصر إمرة الأمراء وأثره على الدولة العباسية (324-334هـ/935-945م)

المقدمة:

بدأت الدولة العربية الإسلامية مند عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة(01-11هـ/622-633م) ثم الخلافة الراشدة (11-32هـ/633-665م) فالخلافة الأموية(32-132هـ/665-765م) ثم الخلافة العباسية التي بلغت فيها الحضارة العربية الإسلامية أوجها في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي, وكان هذا القرن هو القمة في التطور وفي نفس الوقت بداية الانحدار نحو التخلف، بداية بفساد السلطة حيث تميزت الخلافة العباسية بتأثيرات فارسية بسبب مشاركة الفرس في نجاح الدعوة إلى آل البيت, مما افقد الدولة عصبيتها العربية وأدى الصراع إلى خلخلت الخلافة, فالعرب يريدون استرداد مجدهم الذي كان في العصر الأموي, والفرس لا يكتفون بمالديهم من مجد في الدولة وإنما يريدون استرداد مجد دولتهم الساسانية القديمة ومحق العرب من خلال تيار شعوبي رافقه تيار إلحاد وزندقة يهدف إلى تدمير العروبة والإسلام معا [1].

ولما تولى المعتصم الحكم (218-227هـ/833-842م) فكرفي عنصر جديد يعتمد عليه في حروبه ويبعد الفرس فوجد ضالته في الرقيق التركي لقوتهم في القتال

وعدم توفرهم على قومية شعوبية, واخذ يستكثر من شرائهم وطلبهم من سمرقند وفرغانة وأشرسونة حتى ضاقت بهم شوارع بغداد فأنشأ لهم المعتصم سامراء شمال بغداد التي تحولت عاصمة للخلافة حتى أواخر عهد المعتمد عام(276هـ/889م), ويقترن تاريخ وفاة الواثق بن المعتصم عام(232هـ/847م) بتاريخ تدخل الأتراك في شؤون الخلافة لان الواثق لم يعهد إلى أحد من بعده بولاية العهد، فتجاوز الأتراك ابنه وبايعوا أخاه المتوكل الذي بمصرعه عام 247هـ/861م) بدأ مسلسل العبث بكرامة الخلفاء والتعدي عليهم([2]).

وإمرة الأمراء هو نظام ومنصب سياسي جديد أستحدثه الخليفة الراضي بالله في الخلافة العباسية عام(324هـ/939م), ويعني نقل السلطات الدنيوية للخليفة إلى كبير الأمراء ويسمى أمير الأمراء تتوفر فيه صفات الرياسة العسكرية والاختصاصات المدنية حيث يرمز للاختصاص الحربي بالسيف, ويرمز للاختصاص المدني بالقلم وهذا للحفاظ على السلطة الروحية للخليفة, بحيث أبطلت الدواوين والوزارة, وتتمثل اختصاصات أمير الأمراء فيما يلي:

- إمرة الجيش:
- إدارة المناصب المالية:حيث تحمل الأموال إلى خزائن أمير الأمراء يتصرف فيها ويعين الذين يقومون عليها ويحدد نفقات الخليفة وأرزاق الجند ونفقات الدولة
- الخطبة: لأمير الأمراء على المنابر إلى جانب الخليفة ونقش إسمه على السكة بالإضافة إلى مظاهر الحفاوة والتبجيل الأخرى([3]).

وأول من تولى هذا المنصب هو أبو بكر محمد إبن رائق(20ذي الحجة324/12ذي القعدة326هـ) ثم بحكم(12ذي القعدة326هـ/09رجب329هـ) في عهد الخليفة الراضي بالله، وفي عهد الخليفة المتقي بالله بحكم لعدة شهر ونيف ثم كورتكين الديلمي(03شوال329هـ/26ذي الحجة329هـ) ثم أبو بكر محمد بن رائق للمرة الثانية(26ذي الحجة329هـ/01شعبان330هـ) ثم الحسن بن حمدان ناصر الدولة(01شعبان330هـ/11رمضان331هـ) وأخيرا توزون الديلمي(11رمضان331هـ/12محرم334هـ) الذي خلع المتقي بالله وعين مكانه ابن

عمه المستكفي بالله مند صفر(333هـ/944م) وانتهت إمرة الأمراء على يد زيرك بن شيرزاد في 11جمادي الاولى334هـ([4]).

و استحدث الخليفة الراضي نظام منصب إمرة الأمراء لعدة أسباب هي:

ا-الأسباب السياسية: بعد مقتل المتوكل من طرف الأتراك بالاتفاق مع ابنه المنتصر لان والده قدم عليه أخاه المعتز بتأثير من أمه، ولما تولى المنتصر الخلافة خلع أخويه من الخلافة وعندما توفي خلفه المستعين بالله(248هـ/862م) الذي خلعه الأتراك وقتلوه في واسط بعد مبايعة أخيه المعتز(251هـ/866م), وأستمر حال الخلافة العباسية كذلك حيث قتل الأتراك المعتز ثم المهتدي بن الواثق ونصبوا خلفاء ضعاف مثل المكتفي والمقتدر والقاهر, وهذا الأخير هو أول خليفة تسمل عيناه, وعندما تولى الراضي بالله الخلافة بعد القاهر وضع نظام إمرة الأمراء لوضع حد لهذا التدهور ([5]).

أما السبب السياسي الثاني هو أزمة الوزارة العباسية, حيث أصبح المنصب الثاني في الدولة يشترى بالمال, مما جعل الوزراء غير قادرين على تطبيق أوامرهم على أمراء الأقاليم, سواء أبو علي إبن مقلة أو عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح أو أبو جعفر الكرخي وأخيرا الوزير أبو القاسم سليمان بن الحسن الذي فشل في إدارة شؤون الدولة لازدياد نفوذ قادة الجيش الأتراك وتدخلهم في الشؤون السياسية, مما أضطر الخليفة الراضي إلى تكليف أمير واسط والبصرة أبو بكر إبن رائق بتسيير شؤون الدولة ([6]).

ب-الأسباب الاقتصادية: تتمثل في ألازمة الاقتصادية التي كانت تعيشها الخلافة العباسية بسبب كثرة الحركات المناوئة في إقليم العراق بالذات مقر الخلافة الشيء الذي ضيع أموال طائلة وكون وضع غير مستقر لم يساعد على التطور منها ثورات العلوية وثورة الزنج وخطر القرامطة, وكذلك الحركات الانفصالية في أقاليم الخلافة التي نشطت نتيجة لضعف الخلفاء والوزراء حيث كان الأمراء يفضلون البقاء في بغداد بعيدا عن غضب الشعب أو البقاء في أقاليمهم ومسايرة الأحداث التي تتفق مع الرغبة في الانفصال عن خليفة ضعيف لا يحتاج إليه إلا في الرابطة الروحية لتغطية الأخطاء السياسية, فكانت الأهواز و خوزستان في يد البريدي وفارس في يد عماد

الدولة بن بويه والري وأصبهان والجبل أو جيلان في يدركن الدولة بن بويه وكرمان في يد علي بن إلياس وبلاد ما وراء النهر في يد سامان وطبرستان في يد الديلم ومصر والشام في يد الإخشيديين وبلاد المغرب في يد الفاطميين مما حرم الخلافة من مدا خيل هذه الأقاليم, ولم يكن العراق ذاته أحسن حال من حيث الحركات الانفصالية فالبصرة في يد البريدي والموصل وديار بكر والجزيرة الفراتية في يد بالحمدانيين والبحرين واليمامة بشرق شبه الجزيرة العربية في يد الظاهر القرمطي لذلك أصبح ما تبقى من العراق لا يكفي مصاريف الخلافة بسبب هذا التفكك ([7]).

ج-الأسباب العسكرية:تتمثل في أن الجند التركي وغيرهم من الشعوب التي دخلت في المؤسسة العسكرية مثل الديلم كانوا يستجيبون لعصبياتهم ومصالحهم الخاصة أكثر مما يستجيبون للخلافة التي تمثل المصلحة العامة, كما أن الجند الأعجمي يخدمون حيث يوجد المال لذلك نتج عن العجز المالي ضعف في الجيش, كما أن وظيفة الجيش العباسي ساهمت في الأزمة الاقتصادية فهو جيش ثكنات مصاريفه عبء ثابت على خزينة الخلافة فالفتوحات توقفت ولم يعد الفيء مصدر يغذي الخزينة كما كان الحال عند الأمويين([8]).

ومما لاشك فيه أن نظام إمرة الأمراء الذي أستمر عشرة سنوات ترك آثار عديدة على الخلافة العباسية, كان يرجى منها إصلاح حال الخلافة العباسية, وتمثلت هذه الآثار فيما يلي:

ا- تطور وظيفة الكتابة: كان منصب الكتابة منصب يأتي بعد الوزارة، لكن لما ظهر منصب إمرة الأمراء, عين كتاب يساعدون أمير الأمراء, وبذلك أصبحت الكتابة في مكانة الوزارة التي أبطلت رغم بقاء شخص الوزير الذي أصبح تابعا للخليفة شخصيا لا يقدم و لا يؤخر في الأمور, وكان الكاتب خلال عصر إمرة الأمراء يقوم بتحرير الرسائل الرسمية الخاصة بالسياسة الداخلية والخارجية وهو الذي ينشر أيضا المراسيم والقرارات والبلاغات والتراتيب الادراية بين الناس، وكان في بعض الظروف يجلس مع الخليفة وينظر في الدعاوي والشكاوي ويختمها أخيرا بخاتم الخليفة, وكان الكاتب يعين من ذوي النسب والثقافة الواسعة مثل أبو عبد الله

النوبختي و أبو عبد الله الكوفي و أبو العباس احمد بن عبد الله الاصبهاني و أبو جعفر الكوفي ([9]).

ب-انتهاء الولاية على الأقاليم: رغم أن الخليفة الراضي بالله كان يهدف من وراء تركيز السلطة الدنيوية في يد رجل عسكري قوي هو استعادة سيطرة الدولة العباسية على أقاليمها, لكن الذي حدث أنه في عام (324هـ/935م) بلغ انقسام الخلافة الحد الأقصى حيث لم يبق للخليفة إلا بغداد, ولم تعد سلطة العباسيين تخرج عن حدود بغداد وبذلك توقف منصب الولاية أو الإمارة لانتهاء الولايات حتى مكة والمدينة ضمهما الإخشيد يون عام(325هـ/936م), وهكذا فقدت الدولة العباسية مؤسسة هامة من مؤسساتها الادراية مما أدى عدم الاستقرار والفوضى ([10]).

ج-ضعف هيبة الدولة العباسية وعدم الاستقرار: كان هدف الخليفة الراضي من تعيين أمير أمراء عسكري يتمتع بسلطات واسعة حتى يحافظ على الأقل على هيبة الخلافة ولو روحيا، لكن المتمعن في الأمر يجد أن الراضي بالله نفسه اخرج من السجن ثم عين خليفة, لذلك فكرته الإصلاحية لا يؤمن بها الذين عينوه أصحاب السلطة الحقيقية، أما المتقي بالله والمستكفي فقد عذبا و سملت أعينهما بطريقة مفزعة، فضلا عن كونهم لم يمارسا أي سلطة، حتى أن المؤرخ المسعودي ذكر حرفيا «ولم نعرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم, إذ كانوا كالمولى عليهم لا أمر ينفد لهم»([11]) ،و على العكس من ذلك كانت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب قوية في عهد القائم بأمر الله(322-334هـ)رغم ثورة صاحب الحمار العنيفة، ونفس الشيء الخلافة الأموية في الأندلس التي كانت في قمة استقرارها تحت حكم عبد الرحمن الأوسط طيلة نصف (300-350هـ) و ابنه ولي العهد ينتظر دون أي نزاع ومشاكل ([12]).

د-زيادة الصراع القومي و اشتداد الشعوبية: يتضح احتدام الصراع القومي في عدة نقاط أولها الحركات الانفصالية حيث سيطر الفرس على عدة أقاليم مثل بني سامان و الزيارتين البويهيين وأقاليم أخرى تغلب عليها العرب مثل الحمدانيين والفاطميين والترك مثل الإخشيد, كما يتضح هذا الصراع في منصب إمرة الأمراء نفسه تولاه تركيان هما ابن رائق وبحكم ثم ديلمي هو كورتكين, وبعد ذلك عربي هو ناصر

الدولة الحمداني وأخير عاد الديلم وسيطرتهم التامة على الوضع من خلال توزون وابن شيرزاد وتمهيد الطريق لمجيء البويهيين الديلم ([13]).

هـ-غلاء المعيشة:تميز عصر إمرة الأمراء بالأزمة الاقتصادية المتفاقمة حيث قل الإنتاج، ففي عام(324 هـ/939م) انعدم الخبز خمسة أيام واشتد الغلاء حتى بيع الكر(17قنطار) من الحنطة بماية وعشرين دينارا ومن الشعير بتسعين دينارا، وفي(329هـ/943م) بلغ الانهيار الاقتصادي أشده بسبب انفصال الولايات وانقطاع أموالها عن بغداد عاصمة الخلافة، واشتد الأمر أكثر بسبب الحروب والفتن، وكذلك الإقطاع العسكري مما أضعف الإنتاج الزراعي، فبيع العقار والأثاث ما ثمنه دينار بدرهم وبيع الجراد واكله الناس وهذا رغم تشديد ناصر الدولة الحمداني الرقابة على العيارين والصيارفة عام(331 هـ/945م) وإصداره لدنانير جديدة قيمتها 13 درهم بدل 10 وهو ما يعرف في المصطلح الاقتصادي مند عصر المقريزي بالتضخم المالي ([14]).

و- الطبقية الحادة والفقر المدقع: الإقطاع والاحتكار أدى إلى زيادة الفقراء فقرا على فقر وهي عموم الشعب وطبقة ثرية أرستقراطية مترفة، مما أدى إلى انتشار الأوبئة والإمراض وانتشار الجوع حتى أكل الناس الميتة والكلاب وموت الناس [بأعداد كبيرة حتى تعذرت الصلاة عليهم ودفنهم وبقى البعض عدة أيام على حافة الطرقات([15]).

ز-اختفاء الجيش المركزي للخلافة:أدي انقسام الدولة العباسية إلى دويلات إلى اختفاء جيش الخلافة الذي يحمي الحدود ويقف في وجه الروم الذين احتلوا حلب عام(330هـ945م) وسبوا خمسة آلاف مسلم، ولم الرد إلا من حاكم طر سوس الذي دخل بلاد الروم وغنم الغنائم وأسر عدة بطارقة, حرر به أسر ى المسلمين, والروس أيضا هاجموا أراضي المسلمين حتى وصلوا مدينة بردعة في أذربيجان عام(332هـ/947م) ولم يواجههم إلا المتطوعين وهكذا بعد أن فقدت الدولة العباسية العصبية فقدت الشوكة وهي الجيش الذي يحميها من الأعداء ([16]).

ح-سيطرة الشيعة على العالم الإسلامي: وطد الفاطميون دولتهم في بلاد المغرب في عهد القائم بأمر الله وتوسع نفوذهم إلى مصر والشام، وبإستلاء البويهيين الشيعة

على بلاد فارس ثم العراق, سيطر الشيعة على العالم الإسلامي، أضف إلى ذلك أن الحمدانيين شيعة والزبدية شيعة، و فعلا فكر معز الدولة بن بويه(334-356هـ/949-981م) في القضاء على الخلافة العباسية السنية وإقامة خلافة شيعية لكن خواصه حذروه من ذلك لان خليفة علوي من العرب يعتقد الناس بصحة خلافته لا يخدم مصالحهم, عكس خليفة عباسي الكل يعتقد بعدم أهليته للخلافة إذا أمرت الناس بقتله قتلوه، وبذلك أتضح زيف من يدعون التشيع لآل البيت، أي أن الخلافة العباسية بقيت أكثر من ثلاثة قرون منذ عام(334هـ/949م) حتى (658هـ/1256م)لأسباب سياسية مصلحية فقط([17]).

ط-تحول الخلافة العباسية إلى مفهوم روحي فقط: لم يعد أحد يؤمن بسلطة الخليفة في بغداد بسبب ضعفه وعدم وجود أي عصبية تحمي الدولة بعد تخلي العباسيين عن العصبية العربية، فلم ينفعهم الأعاجم الذين اظهروا اهتمامهم بمصالحهم دون الاهتمام بمصلحة الإسلام ممثلا في خلافته العباسية، فالخليفة لا يملك إلا لقبه وحق الخطبة وأية خطبة والدعوة له لأغراض خاصة, ومند (334هـ/949م) أصبح نهب دار الخليفة عادة بعد موته بدعوى الخلفاء مثل الأنبياء لا يورثون([18]).

ي-ازدهار التصوف: أدى الصراع السياسي والفتن وارتكاب المحرمات إلى تفضيل جماعة من المسلمين الانعزال عن الناس من اجل العبادة والتأمل والبحث في حال الأمة التي خرجت عن سنن السلف الصالح بسب حب المادة، فكان الحل حسب رأيهم الزهد في الدنيا، فمنهم من قرأ وتعلم وألف كما كان ظهور التصوف في القرن الثاني الهجري، ومنهم من تعلم وتأمل ولم يترك إلا حكم ونصائح ومنهم دون ذلك([19]).

ك-انتشار الدجل والخرافات:إذا كان التصوف في معظمه ممدوح، فإن الكذب والخبث والخديعة لتحقيق أطماع عجز عن تحقيقها بالوسائل المشروعة هو انحراف وخروج عن الدين مثل السحر والطلاسم والتنجيم والاعتقاد في الطوالع ودعوات الأولياء الصالحين، بسبب الفقر والجهل والأمية وبالتالي عجز الفرد المسلم عن العمل والإنتاج في الحياة([20]).

خاتمة:

وهكذا كانت إمرة الأمراء العباسية أول محاولة إصلاحية في التاريخ الإسلامي كانت من الداخل ومن طرف السلطة الحاكمة ممثلة في الخليفة العباسي الراضي بالله عام(324هـ/935م) من خلال إنشاء منصب أو نظام جديد في الحكم هو إمرة الأمراء أي أن كبير الأمراء هو الذي تولى السلطة الزمنية أو الدنيوية للخليفة لكي يجنبه نقد الناس وبذلك يحفظ هيبة الخلافة، مثل منصب الوزير الأول اليوم، لكن هذه المحاولة فشلت لان الدولة العباسية فقدت عصبتها القومية وجيشها ومالها من خلال ضعف الخليفة.

المصادر والمراجع المعتمدة:

(1) السيوطي:تاريخ الخلفاء ،تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر 1952، ص336، فاروق عمر فوزي: طبيعة الدعوة العباسية(98-132هـ)، بيروت، 1970 ص ص10-15.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، مكتبة المعارف بيروت (د ت) ، ص306، فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية(132-447هـ/749-1055م)، جامعة بغداد 1990،ص ص35-55، جمال الدين الشيال: تاريخ الدولة العباسية، دار الكتب الجامعية القاهرة ، 1967،ص59.

(3)الماوردي:الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط3، القاهرة(د ت)، ص ص22-23،فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية ...ص390،حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ط3، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1962، ص154.

(4)المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، تقديم محمد السويدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1990، ص315، محمد بن عبد الملك الهمداني:تكملة تاريخ الطبري، ج1، تحقيق وتقديم ألبرت يوسف كنعان، ط2، المكتبة الكاثوليكية بيروت،1961، ص82 .

(5)المسعودي: المصدر السابق،ج4، ص ص103-110، الهمداني محمد بن عبد الملك: المصدر السابق،ج1،ص 82.

(6)المسعودي: المصدر السابق،ج4،ص395،آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام ،ج1 ،ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة الدار التونسية للنشر تونس والمؤسسة للكتاب الجزائر ،1986 ،ص249.

(7)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، مراجعة وتعليق جماعة من العلماء، ط2، الكتاب اللبناني بيروت،1967، ص ص151، 255، محمود إسماعيل:الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية، دار القلم بيروت 1973،ص ص161،149،109.

(8) ابن الأثير: المصدر السابق،ج6، ص254، ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، دار الكتاب اللبناني بيروت(د ت)، ص529

(9)مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج1، تصحيح ف مدوز، مكتبة المثنى بغداد(د ت)،ص352.

(10)محمد بن عبد الملك الهمداني: المصدر السابق،ج1، ص101.

(11)التنبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف القاهرة، 1938، ص346.

(12)أبو عبد الله محمد الصنهاجي : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق جلول أحمد بدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص ص 29-32، احمد محتار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية بيروت ، 1978، 168.

(13)ابن الأثير: المصدر السابق،ج6، ص ص296-298، ج8،ص200-2001، احمد أمين: ظهر الإسلام، ج1،مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1962، ص9-10، 51، 61.

(14)ابن الأثير: المصدر السابق،ج8،ص284.

(15)ابن الأثير: المصدر السابق،ج8،ص284، السيوطي:المصدر السابق، ص ص425-427.

(16) المسعودي : التنبيه والإشراف...ص347، آدم متز:المرجع السابق،ج1،ص ص24-25

(17)ابن كثير : البداية والنهاية، ط1،ج8، مكتبة المعارف بيروت، 1966، ص 149، حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق،ص63.

(18) المسعودي : التنبيه والإشراف،ص346،آدم متز: المرجع السابق،ج1، ص21.

(19) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج1، دار الكتاب اللبناني بيروت 1953 ص121 الطاهر بونابي :التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12و13 الميلاديين نشأته –تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى الجزائر،2004 ص ص36-37.

(20)أحمد أمين: المرجع السابق، ج1، ص ص121-122.

9- فقه النوازل وتكريس الشرعية السياسية بالمغرب الأوسط الوسيط

مقدمة:

النوازل هي الواقعات والمسائل المستجدة التي تنزل بالعالم الفقيه،فيستخرج لها حكما شرعيا،ويطلق عليها النوازل والفتاوى والأجوبة والأحكام والمسائل وكلها مصطلحات تعكس مفاهيم متقاربة،وفي بلاد المغرب الأوسط ذكر المازوني ،والونشريسي عدة نصوص تخص تكريس الشرعية السياسية من خلال حفظ الأمن ،ومحاربة البدع،ودعم السلطان العادل، ومحاربة السلطان لأهل البغي الخارجين عن القانون[1].

1-أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني التلمساني(ت883هـ/1478م)[2]:

طرح في نوازله مشكل انعدام الأمن في البلاد أو ماسماه أيضا اللصوصية فذكر مانصه:«**حيث سئل بعض فقهاء بلادنا عن قوم عمدوا لمسجد قوم أو دوارهم ليأخذوا أموالهم بغير موجب شرعي ويفتكوا حريمهم ،فاستعد لهم العمارة للرفع عن أنفسهم وحريمهم وأموالهم فكانت خيول الفريقين وتطاردوا،فغُلِبت الفئة الباغية**

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج48،دار المعارف القاهرة (د ت)،ص 4401 مادة نازلة وهي الشديدة تنزل بالقوم وجمعها نوازل،إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م ،الجزء الثاني الشرعيات والعقائد، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب2000،ص224،محمد التمتماني الإدريسي: الاجتهاد الذرائعي في المذهب المالكي وأثره في الفقه الإسلامي قديما وحديثا،ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء الرباط المغرب 2010،ص7-8، عطية عدلان: الأحكام الشرعية للنوازل السياسية،دار اليسر القاهرة 2011،ص19-21.

[2] الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق قندوز ماحي، تصحيح محند أو إدير مشنان، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر 2012، مجلدين، وينظر بركات إسماعيل: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني(ت883هـ/1478م)ج1 دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، تخصص المخطوط العربي، إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2009-2010 ص01 وما بعدها.

وولت منهزمة فأراد هؤلاء إتباعهم وقتل من قبضوا عليه منهم أو إتخاذه وسيلة هل يسوغ على ذلك مع أمنهم من كرة المدبرين أم لا»،فأجاب المازوني: «**الحمد لله لا يسوغ الأخذ بالضرب من وجدوه واقفا في المعركة ولا أتباعهم مدبرين والحال ماذكر صيانة للدماء وهو مذهب ابن القاسم وقال سحنون يتبعون ولو بلغو برك الغماد ويخير عندهم على حريمهم بعد الأول إنما يضرب بعد وقوعه الكافر ويتبع إذا أدبر نص على ذلك القرافي في الذخيرة والقواعد والله اعلم**»[3].

وبعنوان آخر : التعرض للقوافل بالسرقة وانعدام الأمن في البلاد ذكر هذه الفتوى:«**وسئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقباني عن موضع كان خاليا وهو في قارعة الطريق وكانت القبائل الموالون له يقطعون فيه على المسافرين يجلسون فيه للحرابة وأخذه فيه ناسا كثيرة ... ثم أن مرابطا من مرابطي العرب له جهد وقدرة نزل فيه وعمل فيه عمارة كبيرة قصد قطع تلك المفسدة،وبقطعها صار الموضع المذكور مأوى للمسافرين والمشاة،فهل له ذلك لأجل إراحة نفسه أولا لما يستحق منهم من إعادتهم إلى ما تقدم...**»فأجاب :«**الحمد لله إقامة المرابط بهذا الموضع الذي كان قبل سكنى هؤلاء به مأوى للمحاربين ومملكة للمسافرين من باب إغاثة اللهفان ودفع الفساد عن أهل الأمان وما أعظم المتوبة في ذلك وما هذا إلا جهاد عظيم وشرف دائم**»[4].

وبعنوان ثان: تسلط العرب وظلمهم أو غصب العرب لأموال الناس والجور في خراج الأرض جاء: «**وسئل أيضا عبد الرحمن الوغليسي عن قوم من أهل الرباط يكونون فقراء يعيشون بصدقات الإسلام ونوافل خيراتهم لكن الأكثر مما يأخذون من ذلك من أيدي الغصاب والعرب الذين ينتهبون أموال الناس....**»،فأجاب «**الحمد لله هذه صفة منتحلي اسم الرباط وهو خال من معناه وليست هذه صفة من أتقى الله وأخذ نفسه بالحذر عن موقف المحاسبة والسؤال عما يحصل له من أين أكتسب ذلك المال وفيما أنفقه وهو عاص في مخالفته ومذاهنته للغصاب وفي الإسراف في الأخذ ولا يغطي من هذه حالته لان ذلك يزيده إسرافا وانهماكا فيما هم**

---

[3] المصدر السابق،ص99.

[4] المصدر نفسه،ص100-102.

فيه وقد قال أهل المذهب فيمن يتداين ويتسع ليكون غارما فلا يعطي لأن الإعطاء يديمه على عادته الرديئة...»[5].

وذكر أحمد الونشريسي الجهاد أفضل من الحج في حق الأندلسيين، حيث سئل ابن رشد عمن لم يحج من أهل الأندلس في هذا الوقت(وقت بن رشد)هل الحج أضل له أو الجهاد؟ وكيف لو حج الفريضة؟

فأجاب:« **فرض الحج ساقط في زماننا هذا عن الأندلس لعدم الاستطاعة وهي القدرة على الوصول مع الأمن عن النفس والمال،وإذا سقط الفرض صار نفلا مكروها للضرر... ولقد لقيت في بلاد المغرب وأنا قاصد الحج من المغرب ما اعتقدت معه أن الحج ساقط عن أهل المغرب بل حرام لما يركبونه من مخاطر»**[6] بمعنى إسقاط وجوب أحد أركان الإسلام وهو الحج بسبب غياب الأمن.

وأضاف أحمد الونشريسي بعنوان:«**الحج ساقط عند تحقق أخطار الطريق، وأجاب الأستاذ أبو بكر الطرطوشي بأنه حرام على أهل المغرب، فمن خاطر وحج فقد سقط فرضه، ولكنه آثم بما ارتكب من الغرر، وقال القاضي أبو بكر بن العربي، والعجب ممن يقول أن الحج ساقط عن أهل المغرب وهو يسافر من قطر إلى قطر ويخرق البحار ويقطع المخارق في مقاصد دينية ودنيوية، والحال واحد في الخوف والأمن والحلال والحرام وإنفاق المال وإعطائه في الطريق وغيره لمن لا يرضى،وفي نوازل ابن الحاج :افتى أبو عمران أبو بكر بن عبد الرحمن بسقوط فرض الحج عن أهل الأندلس مند زمان»**[7] حيث تقدم الفتاوى المعارضة والفتاوى المؤيدة.

---

[5] المصدر نفسه،ص76،واهتم المازوني بقضية ضرورة حفظ امن البلاد في عدة صفحات مج2، ص 76، 99 101، 103-309، 109-310

[6] الونشريسي أحمد: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، ج01، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان1401هـ/1981م ،ص432، وينظر ابن رشد ابن الوليد القرطبي: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة،ج2،تحقيق سعيد أعراب ،ج3، ج16، تحقيق أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1988 حول الجهاد ومحاربة المرتدين و المحاربين.

[7] الونشريسي أحمد:المصدر نفسه،ج01،ص433،

ومما سبق يتضح أن أحمد الونشريسي حتى يؤكد صحة فتواه ذكر فتاوى عدة علماء إبن رشد، أبو بكر الطرطوشي، نوازل ابن الحاج،و أبو عمران أبو بكر بن عبد الرحمن، والقاضي أبو بكر بن العربي،وهو ما يسمى أهل الحل والعقد من العلماء[8].

وفي قضية محاربة البدع تحت عنوان: صدور الأمر السلطاني بمنع بدعة خطيب السارية،مانصه: «**وتقيد بإذن الأمر العلي بمقتضى الأمر العلي المؤيد الكريم المولوي السلطاني المحمدي المنصور بالله النصري أدام الله علاءه، ونصر لواءه،يعتمد بحول الله تعالى وقوته القاضي بمدينة بلش حرسها الله، والخطيبان بمسجدها الأعظم والقائد والوزراء بها وصل الله عزتهم،وولي رفعتهم،على أن يكون الوقوف في قضية خطيب السارية عندما صدرت الفتوى العلمية من أهل العلم بالحضرة، ولا سبيل أن يعتدى حدها،إذ هي من البدع المحدثة التي لا ينبغي اقرارها ولا السمح فيها،فمن وقف على هذا الأمر الكريم فليعمل بمقتضاه، وليمض ما امضاه، وكتب في الثاني والعشرين لمحرم عام ثمانية وخمسين وثمانمائة...**»[9].

ومما سبق يتضح أمران وضوح الفتوى مع نص السؤال، وثانيها الاعتماد على فتوى عدة علماء التي أسماها الفتوى العلمية من أهل العلم بالحضرة، مع توضيح تنفيذ الفتوى دون تردد أو مناقشة من اجل القضاء على البدعة المحدثة سنة

---

[8] عطية عدلان:المرجع السابق،ص113-124.

[9] الونشريسي أحمد:المصدر السابق،ج01،ص276-278، حيث جاء في الأول: عنوان بدعة خطيب السارية بمدينة بلش وأضاف في أول السطر وسئل السرقسطي عما يفعله أهل مدينة بلش بجامع الخطبة من داخل سورها، وذلك انه إذا صعد الخطيب على المنبر وشرع المؤذن في الآذان قام المتولي لتفريق الأجزاء القرآنية فيقف بجانب المنبر خطيبا فيقول: عباد الله، ثم ينبههم على فضل ذلك اليوم،وبما ثبت في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن فيه ساعة الدعاء فيها مجاب، ثم يحضهم على الدعاء ويرغبهم فيه،ثم يدعو لأمير المسلمين ثم للمسلمين أجمعين ، يختم الدعاء بأن يقول وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،هل هذا أمر سائغ يثاب فاعله لما فيه من التعريف بفضل ذلك اليوم والترغيب في الدعاء والابتهال إلى الله عزوجل؟ أو يقال انه بدعة فيجب الامتناع منه والإنكار على فاعله؟ وإذا كان كذلك فما يكون في الحبس الذي حبس على ذلك الوظيف؟ فأجاب الجواب عن السؤال فوقه إن ماذكر فيه لم ينقل عن السلف الصالح مثله ولا عهد فيهم فعله،ولو كان النقل، وقد قرر الفقهاء أحكام يوم الجمعة قبل الخطبة وبعدها فلم يذكروا ذلك، فهوا إذن داخل تحت عموم قوله صلى الله عليه وسلم: وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

858هـ/1454م التي إذا تركت كثرت البدع وفتن المجتمع وضاعت هيبة دولة الإسلام ،حتى ولو ظاهرها طيب مثل بدعة مدينة بلش فهي بدعة.

2- أحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ/1508م):

جاء تحت عنوان حكم الشرع فيمن نبذ بيعة الإمام، وسئل فقهاء الأندلس بما نصه:« **سيدي رضي الله عنكم وأدام النفع بكم، جوابكم في عصابة من قواد الأندلس وفرسانها نبذوا بيعة مولانا أبي الحسن نصره الله وخرجوا عن طاعته وقاموا بدعوة ابنه ودعوا الناس إلى بيعته، وطاوعهم على ذلك من شاء الله تعالى، إلى أن وقعت كائنة اللسانة وفقد فيها جملة منهم، وأسر الأمير وانجلى من سلم منهم عن الحضرة فلجأوا إلى صاحب قشتالة دمّره الله، مستنصرين به، ومعتصمين بحبل جواره، فواطؤوه على شروط التزموها إليه، ووعدهم بتسريح الأمير المذكور للخروج به لأرض المسلمين، وعقد له صلحا على ماطاع له من البلاد، ولإخفاء بما هو قصد الكافر قصمه الله في هذا الذي فعل فلكم الفضل في الجواب عن فعلهم،أولا هل كان له متمسك من الشرع أو إنما كان بمحض عصيان الله تعالى وخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله؟»**[10]

وأضاف بقوله:« **وإن قدر الله بخروجهم من أرض النصارى مصرين على ما كانوا عليه من التعصب على الفتنة والخلاف، فهل يجل لأحد من المسلمين مساعدتهم على ذلك والأخذ معهم فيه؟ وهل يحل لأهل مدينة من المدن أو حصن من الحصون أن يأويهم؟ وما حكم الله فيمن آواهم وأعانهم، وانتظم في سننهم أو مال بقلبه أو قوله أو فعله إليهم؟بينوا لنا ذلك بيانا شافيا ليستضاء بنوره، ويهتدي بهديه، والله يبقي بركتكم، ويعلي في أعلام العلماء درجتكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته»**[11].

فأجابوا: بما نصه:

« **الخطيب أبو عبد الله محمد الحذام، والأستاذ الشيخ الحاج أبو جعفر أحمد بن عبد الجليل، والأستاذ أبو عبد الله محمد بن فتح، والقاضي أبو عبد الله محمد بن**

---

[10] الونشريسي أحمد: المصدر السابق، ج11، ص148.

[11] الونشريسي أحمد: المصدر نفسه،ج11،ص ص148-149.

عبد البر بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. صدرت الفتيا من السادات العلماء، الجلة الأعلام،هداة الأنام، ومصابيح الظلام، بالحضرة العلية غرناطة حرسها الله، على السؤال فوقه، وهم: السيد البركة المفتي أبو عبد الله المواق،والسيد قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد ابن الأزرق، والسيد المفتي أبو الحسن علي بن داوود، والسيد المفتي أبو عبد الله محمد الجعدالة، والسيد الخطيب أبو عبد الله محمد الفخار، والسيد الشيخ الحاج أبو الحسن علي القلصادي والسيد الشيخ أبو حامد بن الحسن، والسيد القاضي أبو عبد الله محمد بن سرحونة، والسيد الخطيب أبو عبد الله محمد المشدالي، والسيد الخطيب أبو محمد عبد الله الزليجي، والسيد ، والأستاذ أبو جعفر محمد البقني، أبقى الله بركتهم، وحفظ في درجة الأعلام رتبهم».

وأضاف أيضا:«**بأن خلع القوم المسؤول عنهم، لبيعة مولانا أبي الحسن نصرة الله، وقيامهم بدعوة ابنه، ليس له متمسك من دين الله، وإنما هو محض عصيان، وخروج عن طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ارتكبوه بذلك من وجوه المفاسد التي لا يرضى الله بها من شق عصا الإسلام في هذا الوطن الغريب، وتفريق أمره بعدما كان مجتمعا، وإيقاد نار الفتنة، وإلقاء العداوة والبغضاء بسببها في قلوب المسلمين، وإفساد ذات البين التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: .:.إنما هي الحالقة، مع ما في ذلك من توهين المسلمين وإطماع العدو الكافر في استيصال بيضتهم، واستباحة حريمهم، وكل ذلك محرم بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع العلماء إلى غير ذلك من وجوه المعاطب التي لا تخفى»**[12].

وهذا نص يوضح النهي الصريح عن الحروج عن الحاكم لما فيه من فتنة نشر الأحقاد مما يؤدي إلى اضعاف المسلمين ومن ثمة اطماع للعدو في القضاء على المسلمين ، ويؤكد في نص الفتوى أن هذا محرم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى

[12]الونشريسي أحمد: المصدر نفسه،ج11،ص ص149-150.

الله عليه وسلم وإجماع العلماء، وبالفعل من جعفر الصادق حتى الآن يجمع العلماء على أن سلطان جائر غير من فتنة تدوم[13].

وجاء في نص جواب الفتوى:«**وإن ركونهم إلى الكفار واستنصارهم بهم، لا يخفى أنهم داخلون به في وعيد قول الله تعالى:[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)**، وقال سبحانه في الآية الأخرى:(**ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)** »[14].

وأخير استكملت الفتوى :«**وإن تجيد بيعتهم للأمير المأسور،إصرار على ما ذكر من المعاصي والمحرمات، وتأكيد لما ارتكبوه من الجرائم والسيئات فمن آواهم أو أعانهم بقول أو فعل، فهو معين على معصية الله تعالى، ومخالف لسنة رسوله، ومن هوى فعلهم أو أحب ظهورهم، فقد أحب أن يعصى الله في أرضه بأعظم العصيان، هذا ما داموا مصرين على فعلهم، فإن تابوا ورجعوا عما هم عليه من الشقاق والخلاف ، فالواجب على المسلمين قبولهم، لان الله تعالى يقول : (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه)** »[15] .

وختمت بقوله:«**نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يقينا شر نفوسنا، وأن يصلح ذات بيننا إنه ولي ذلك والقادر عليه، ومن أشهده السادات المذكورين فيه بما سطر وكتب عنهم من الجواب على السؤال المنبه عليه، وأنهم قائلون به، وصادر عنهم، ولا خفاء بمعرفتهم وهم بحال كما الإشهاد قيد بذلك شهادته في أواسط شهر رمضان المعظم، عام ثمانية وثمانين وثمانمائة عرفنا الله خيره، محمد بن ...شهد ومحمد بن علي بن ... شهد، أعلم بثبوته محمد بن علي الأصبحي وقفه الله وكان له انتهى**»[16].

---

[13] ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر1990،ص49 وما بعدها،عطية عدلان:المرجع السابق،ص595-613.

[14] الونشريسي أحمد: المصدر نفسه،ج11،ص 150، ينظر على التوالي سورة المائدة الآية 51، سورة الممتحنة الآية 01.

[15] الونشريسي أحمد: المصدر نفسه،ج11،ص 150، ينظر سورة المائدة الآية 39.

[16]الونشريسي أحمد: المصدر نفسه،ج11،ص 150.

وجاء تحت عنوان: **تمجيد أبي فارس عبد العزيز الحفصي ملك افريقية**،قيل القرون كلها استقريتها بالنسبة إلى ملوكها وعلمائها في كل قطر لا يخلو أول كل قرن من بركة في العلماء أو في الملوك،لما أجرى الله العادة أن كل قرن فيه خير، وخيره يغلب شره، وقد شاهدنا من ذلك رأس القرن التاسع من الله على أهل افريقية بأمير المؤمنين المتوكل على الله القائم بأمر الله المجاهد في سبيل الله أبي فارس عبد العزيز بن الخليفة أمير المؤمنين أبي العباس بن الأمراء الراشدين الحفصيين،فقطع الله به أهل الخلاف، كما قاتل الكفار حين نزلوا بالمهدية وجاهدهم في الله حق الجهاد، ومزق جمعهم وشردهم في الصحاري والبلاد، وأخذ أموالهم وسبى دراريهم وألجأهم إلى أشر البقاع، وقطع كثيرا من المكائد والمكوس، وقهر أهل الشر والبغي[17].

وأحي دولة الموحدين والحفصيين بعد أن كادت تدرس وغلبها أهل الخلاف، واشتهر عدله وسيرته في أقطار الأرض، وصار له أوفر نصيب في الحرمين الشريفين في إقليم الحجاز، وذكر وفخر الدعاء في الدعاء له في تلك البقاع، ولحقه أشرف الشرفاء بإفريقية القاطنين بذلك الإقليم وأهدوا له من خواص الكعبة مثل مفتاحها وبعض خاصة لباسها ولباس التربة الشريفة وغير ذلك، فجزاه الله عن المسلمين والإسلام خيرا، وأحياء للمسلمين بخير، وختم له بالشهادة بعد عمر طويل، وجعله من الأئمة المهتدين، فالحمد لله على هذه النعمة ابتداء ودوما والشكر لله انتهى[18].

وبالفعل أجمع معظم المؤرخين على عظمة هذا السلطان الحفصي القسنطيني المولد والأصل،و هو أبو فارس عبد العزيز بن السلطان أبي العباس أحمد(772-797هـ/ 1370-1394م) القسنطيني المولد والدار أيضا ، حكم أبو فارس مابين (796-837هـ/ 1394-1434م) الذي بلغت الدولة الحفصية أوج قوتها

---

[17]الونشريسي أحمد:المصدر نفسه،ج10،ص10.

[18]الونشريسي أحمد:المصدر نفسه،ج10،ص10-11،ينظر ابن قنفذ القسنطيني: الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، نشر محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، تونس 1968، ابن الشماع : الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد العموري،الدار العربية للكتاب تونس ، طرابلس 1984، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية،تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس1966.

في عهده، حيث وصفه المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب هو درة عقد الدولة الحفصية، افتتح عهده بإخضاع النواحي النائية كالجريد،و قابس، وطرابلس، وبسكرة ،وكسر شوكة الأعراب خاصة بني سليم واستطاع هزيمتهم وبني مرين المتعاونين معهم ،وابن عمه الأمير أبا عبد الله محمد بن أبي زكرياء واستولى على تلمسان وحاصر مدينة فاس سنة(812هـ/1409م)حتى طلب بنو مرين السلم ، فقبل أبو فارس، ثّم رجع إلى تونس ولحقته في الطريق بيعة أهل المغرب الأقصى وكذلك أهل بلاد الأندلس وبذلك صار شمال إفريقيا كله تحت طاعته وبقى أبو فارس منصورا إلى أن فاجأته الوفاة سنة (837هـ/1434م)[19].

وجاء بعنوان:**فتوى في قتال المغيرين وقطاع الطرق من عرب المغرب الأوسط سنة 796هـ/1396م**، وسئل الإمام أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله عن قضية قتال قبائل بني هلال سعيد ورياح وسويد وبني عامر،أمراء عرب المغرب الأوسط ،سنة ست وتسعين وسبعماية،وكان السائل له الفقيه أبو العباس أحمد المعروف بالمريض،فكتب إليه بما نصه بعد إختصار بعض ألفاظه[20].

وأضاف أحمد الونشريسي :«**فكان جواب سيدنا امتع الله بكم(بن عرفة) عن مسألة وهي «جماعة في مغربنا من العرب، تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أوتزيد،ليس لهم إلا الغارات، وقطع الطرقات على المساكين،وسفك**

---

[19] ابن الشماع : المصدر السابق،ص 108-112،الزركشي: المصدر السابق،ص ص114-131، وألف ابن قنفذ القسنطيني كتاب خاص عن الدولة الحفصية قدمه هدية لهذا السلطان لذلك سماه الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، نشر محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، تونس 1968،أحمد بن أبي الضياف:إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،ج1، تحقيق لجنة من الأساتذة، تونس 1321هـ،ص230-233، حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة ،تقديم وتحقيق حمادي الساحلي،دار الجنوب للنشر تونس2001،ص99، أحمد بن عامر:الدولة الحفصية صفحت خالدة من تاريخنا المجيد،دار الكتب الشرقية تونس 1974،ص ص53-54،أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر ،ج2،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1981،ص334، عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم،دار البعث للطاعة والنشر قسنطينة الجزائر1986،ص ص92-94، 95-98.

Attalla Dhina, les états de l'occident musulman, aux xiii,xiv,xv siecle,institutions gouvernementales et administratives,OPU,ENAL,Alger 1984,pp38-39

[20]الونشريسي أحمد:المصدر السابق،ج06،ص 153-156.

دمائهم،وانتهاب أموالهم بغير حق ويأخذون حرم الإسلام أبكارا وثيبا، قهرا وغلبة،هذا دأب سلفهم وخلفهم،مع أن أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم، فضلا عن ردعهم، بل إنما يداريهم بالأعطية والإنعام، ببعض بلاد رعيته، ونصب عمالهم فيها، وقطع عمال السلطنة عن النظر في حياتها وفصل أحكامها،ثم هم مع ذلك لا تأمن الرفاق من جانبهم نصبوا الغارات على هذه البلاد التي نحن بها، وقاتلوا من عاجلوه، وقطعوا الطرقات، وطلبوا على قطع رقاب المساكين، واخذ أموالهم وسبي حريمهم، فأمرناهم بقتالهم، وصرحنا بأنه جهاد، لما قاله مالك في المدونة فاجتمع الناس على قتالهم، فهزمهم الله، وقتل منهم خلق كثير [21].

ورغم أن قضية قتال اللصوص وقاطعي الطرق وبالذات الأعراب أثارت اعتراض بعض أهل العلم حيث ذكر أحمد الونشريسي:« **فأنكر ذلك علينا بعض المنتمين للعلم بهذه البلاد،بل كلهم فيقول ،فأستظهرنا عليهم بنصوص أهل المذهب كنص المدونة، وما في آخر الجهاد للجلاب،وبقول الباجي بقتل اللصوص إذا أتوا للقتال، وطلبوا مالا يجب أن يعطوه، وأن مالكا وابن القاسم وأشهب قالوا جهادهم جهاد، وروى أشعب عنه أنه أفضل الجهاد وأعظمه أجرا، وبقول مالك في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إلي من جهاد الروم...ويتبعون ويقتلون مدبرين ومقبلين، وليس هروبهم توبة كما قال سحنون**»[22]

ثم يذكر أحمد الونشريسي جواب الفقيه القاضي الإمام أبو مهدي سيدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني رحمه الله بما نصه:«**الحمد لله،حفظ الله كمالكم وأدام نعمته عليكم،وصل إلي وصل ارتقاءكم،وضاعف بالمزيد حرمتكم ،كتابكم الأثير،المضمن للسؤال عن قضية أعراب تبلغ جموعهم عشرة آلاف،حرفتهم**

---

[21] الونشريسي أحمد:المصدر السابق،ج06،ص 153-156، والظاهر نقلا عن المازوني نفس نص النازلة من الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ورقة 180 -182،ص309-311، وينظر مالك بن أنس: المدونة الكبرى،ج1-2،دار الكتب العلمية بيروت لبنان1994.

[22] الونشريسي أحمد:المصدر السابق،ج06،ص 153-156،ينظر ابن الجلاب عبد الله: التفريع،ج1-2، دراسة وتحقيق حسين بن سالم الدهماني،دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1987.

الحرابة، وعليها نشأوا خلفا عن سلف،يسفكون الدماء،ويقطعون الطريق،وينتصبون للغارات، ويخيفون البلاد،ويأخذون النساء بالقهر والغلبة، لاتنالهم أحكام السلطنة...وأنكم أفتيتم بجهادهم وقتالهم وقتلهم، اتباعهم مدبرين، والإجهاز إلى جريحهم،واستباحة أموالهم،واستظهرت بنصوص المذهب التي غليها أشرتم، وذكرتم أن بعض من هناك أو كلهم خالفكم في ذلك»[23].

وأضاف أبو مهدي سيدي عيسى الغبريني بقوله:وطلبتم ما عندي في القضية.فأقول:**«جميع ماأفتيتم به في القضية حق وصواب، لا يحل لمسلم مخالفته، وإنكار من انكر ذلك، من بعض قوله صلى الله عليه وسلم:إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعا من الناس،ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، وجهاد المذكورين ورجحانيته، وثوابه، كأنه من المعلوم بالضرورة من الدين،إلا أن يكون هذا المنكر لا يعلم من أوصاف الأعراب ماذكر،وكذلك اتباعهم والإجهاز على جريحهم ،لا يختلف فيه...وقد اجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال أهل البغي من غير خلاف بينهم في ذلك على تفصيل معلوم في الأمهات»**[24] أي في أمهات كتب المذهب المالكي وغيره من المذاهب الإسلامية، وأهل البغي هم الخارجون عن القانون والشرع.

والواضح أن هذه الفتاوي المالكية كانت شائكة وصعبة التطبيق على كل حرابي قاطع طريق يريد التوبة، وعدم تحرك فقهاء المغرب الأوسط نحو تسهيل شروط التوبة أو تكييفها وفقا للظروف الاجتماعية والاقتصادية ،وبالتالي قلص في عدد المرابطين التائبين وجعل الناس في البوادي يهرعون إلى المرابط المشعوذ فساعد ذلك على انتشار فكرة مواجهة الظلمة والمفسدين بأشكال الذكر والرقص المختلفة كبديل لنشاط المرابط التائب الذي كان تجريده من المال المغصوب يضعه في ضيق من

---

[23] الونشريسي أحمد:المصدر السابق،ج06،ص 155-156، والظاهر نقلا عن المازوني نفس نص النازلة من الدرر المكنونة في نوازل مازونة،ص309-311.

[24] الونشريسي أحمد:المصدر السابق،ج06،ص 155-156.

أمره وهو لم يتعود على الكسب الحلال وربما لم يكن يدرك طرق ممارسته، وفي الجانب العسكري قتال قطاع الطرق واللصوص من أبناء جلدته[25].

خاتمة:

صفوة القول أن السلطان أو الحاكم في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع والعاشر عند المازوني وعند الونشريسي في عهد الدولتين الحفصية والزيانية له الحق في محاربة البدع وحفظ الأمن ضد اللصوص والأعراب ومحاربة أهل البغي كما حاربهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ حروب الردة.

والمهم أن هذه الفتاوي أو النوازل السياسية لتكريس المشروعية السياسية اجمع عليها العلماء الأولين والمتأخرين وبالاعتماد على أمهات المصادر الفقهية سواء في المشرق أو المغرب، وتفردت هذه النوازل في المغرب الأوسط في تكريس المشروعية السياسية فقط دون أي نص يدعو للخروج عن الحاكم ولو كان متغلبا.

وتبقى نوازل بن زاغو المغراوي التلمساني، ونوازل إبراهيم بن الإمام التلمساني، ونوازل عبد الكريم الفكون القسنطيني،وفتاوي عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، وفتاوى الجلاب التلمساني التلمساني محمد المغيلي،وأحمد بن محمد بن زكري التلمساني، وفتاوي ابن مرزوق الحفيذ،و فتاوي محمد بن أبي القاسم المشدالي ،بعضها مفقود و منهم من نقل عنهم المازوني والونشريسي، ومع ذلك لازالت دراستها ضرورية.

فنوازل بلاد المغرب عامة ونوازل المغرب الأوسط(الجزائر) خاصة مازالت غير معروفة حتى في رسائل الدكتوراه الأكاديمية في الشريعة والفقه على سبيل المثال لا الحصر رسالة دكتوراه بعنوان الأحكام الشرعية للنوازل السياسية التي نال بها عطية عدلان درجة الدكتوراه في الفقه بمرتبة الشرف الأولى من الجامعة الأمريكية المفتوحة سنة 2008 خالية في ببليوغرافيتها من أي مصدر مغاربي في النوازل!

---

[25] بن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج6، دار الكتاب اللبناني بيروت 1983 ،ص154،محمد حسن: المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي،ج2، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 1999،ص663، الطاهر بونابي:حركة المرابطين السنة في الزاب بين التصوف والرباط،المجلة الخلدونية عدد09 ،الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية بسكرة الجزائر2011،ص72-73.

خاتمة:

في نهاية هذه الدراسات يمكن استخلاص مايلي:

-أن الطب والصيدلة كان متطور جدا في مدينة قلعة بني حماد خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين الموافق للقرنين الحادي عشر والثاني عشر، رغم إهمال كثير من المراجع لدور المغرب الأوسط (الجزائر)في هذا المجال، ويبقى القول أن الفوليون الحراني هو نوع من النباتات الطبية يسمى الجعدة (التركيوم بوليوم /teucrium polium) عند ديسقوريدوس والأنطاكي وابن البيطار وابن سينا ابن الخير الاشبيلي والملك المظفر الغساني التركماني و عبد القادر حليمي وعشاب المسيلة السيد مزعاش من أجل صناعة دواء متطور منه لمعالجة سموم العقارب التي تفتك سنويا بمئات الناس في الجزائر فقط، وبالتالي إنقاذ آلاف الأرواح سنويا.

-يعد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من الأعياد التي يحتفل بها المسلمون سواء منذ العهد الفاطمي أو غيره العزفيين حكام سبتة أو المرينيين ثم الحفصيين،

وأصبح رمز التدين، وفي منطقة تلمسان بدأ الاحتفال بالمولد منذ عهد أبو حمو موسى الثاني سنة760هـ/1359م من أجل تذكير الناس بمناقب النبي محمد صلى الله عليه وسلم،وجمع وتوحيد المسلمين على محبة رسولهم فما حقق الواجب فهو واجب، ورغم اعتراض بعض الفقهاء على الاحتفال لكونه بدعة وتقليد للنصارى في الاحتفال بعيد ميلاد المسيح، والبعض الآخر أعترض على طريقة الاحتفال الإسراف والشموع ...

وسواء على المستوى الرسمي أو المستوى الشعبي مناسبة المولد النبوي كل سنة في يوم الثاني عشر ربيع الأول مناسبة للفرح والتوسعة على الناس بالمأكولات والحلويات،التضامن مع الفقراء والمحتاجين ، فهو يوم رحمة كما كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

- أن النصر لا يستورد ولا يشترى والجهاد فرض عين على أهل المنطقة،وغرناطة كانت مملكة عميلة للنصارى منذ تأسيسها على يد بني الأحمر ساهمت في سقوط مدن كثيرة في الأندلس فحق عليها القول أكلت يوم أكل الثور الأبيض،وبالتالي كانت غرناطة خطة لابتلاع النصارى للأندلس.

والمفارقة الفرق بين الفتح العربي الإسلامي للأندلس دون قتل للنساء والأطفال ولا قطع للأشجار إلا بعد رفض الإسلام وحكمه،بينما إبادة المسيحيون المسلمين إبادة تامة سنة 1492م باسم إعادة الفتح (Reconquesta).

-أن الخزانة العامة الحفصية غير منفصلة عن صندوق السلطان،مصاريف الصراعات السياسية كثيرة، مصاريف الحروب من خسائر ضخمة بينما المصاريف المتعلقة بتموين وتسليح الجيش ضعيفة ،ونفس الشيء الاهتمام بالصناعة ضعيف بدليل ضعف الأسطول الحربي والتجاري مما جعل الحفصيين يلجؤون إلى كراء السفن الأجنبية للتجارة وحتى نقل الحجاج، مصاريف القضاة زهيدة ومصاريف الجوانب الاجتماعية والثقافية لا تتعدى لفتات كرم لإرضاء الناس.

- أن منطقة سطيف رغم وقوعها قرب مدن هامة مثل بجاية وقسنطينة وقلعة بني حماد ، *جلبت انتباه الرحالة والجغرافيين المسلمين خلال العصر الوسيط من اليعقوبي في القرن الثالث الهجري إلى الوزان في القرن العاشر، وشمل وصفهم لها ضبط*

الاسم لفظا ،وذكر جوانب اقتصادية واجتماعية في غاية الدقة مثل الثراء الاقتصادي وكثرة السكان مازالت هذه الخصائص موجودة حتى الآن.

-البريد من أهم المؤسسات الإدارية في الإسلام ، وبطريقة طردية كلما زاد تطور الدولة العربية الإسلامية زاد دور البريد في حفظ الأمن عند العباسيين والفاطميين والمماليك وفي بلاد المغرب الإسلامي أيضا عند الزيانيين، فضلا عن دوره الظاهري إيصال الأمانات إلى أهلها رسائل وطرود.

-أن منطقة سكيكدة بمدنها الثلاث سكيكدة وستورة والقل ذات الأصل الفينيقي الكنعاني حظيت بوصف الرحالة والجغرافيين الغرب مند وقت مبكر القرن الثالث الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي رغم وقوعها على في الشمال على سواحل البحر الأبيض المتوسط.

وفيما يخص اسم مدينة سكيكدة في العصر الوسيط ذكره الجغرافيون والرحالة العرب بعدة ألفاظ تاسقدة، سقدة، سكدة، سكيدة، وأسكيدة دون توضيح المعنى في للهجات الحالية أو في اللغة الأم اللغة الليبية القديمة، ويبقى الإشكال كيف تحول اسمها إلى الاسم الحالي سكيكدة أي السكة الكأداء أي الصعبة لان المدينة تقع في وادي بين تلتين تلة بوعباز في الشرق وتلة سبع بيار في الغرب.

-كانت إمرة الأمراء العباسية أول محاولة إصلاحية في التاريخ الإسلامي كانت من الداخل ومن طرف السلطة الحاكمة ممثلة في الخليفة العباسي الراضي بالله عام(324هـ/935م) من خلال إنشاء منصب أو نظام جديد في الحكم هو إمرة الأمراء أي أن كبير الأمراء هو الذي تولى السلطة الزمنية أو الدنيوية للخليفة لكي يجنبه نقد الناس وبذلك يحفظ هيبة الخلافة، مثل منصب الوزير الأول اليوم، لكن هذه المحاولة فشلت لان الدولة العباسية فقدت عصبتها القومية وجيشها ومالها من خلال ضعف الخليفة.

- أن السلطان أو الحاكم في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع والعاشر عند المازوني وعند الونشريسي في عهد الدولتين الحفصية والزيانية له الحق في محاربة البدع وحفظ الأمن ضد اللصوص والأعراب ومحاربة أهل البغي كما حاربهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ حروب الردة.

والمهم أن هذه الفتاوي أو النوازل السياسية لتكريس المشروعية السياسية اجمع عليها العلماء الأولين والمتأخرين وبالاعتماد على أمهات المصادر الفقهية سواء في المشرق أو المغرب، وتفردت هذه النوازل في المغرب الأوسط في تكريس المشروعية السياسية فقط دون أي نص يدعو للخروج عن الحاكم ولو كان متغلبا.

فهرس المحتوى

	الصفحة
مقدمة:	5-2
1-الطب والصيدلة في مدينة قلعة بني حماد	16-6
2-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في منطقة تلمسان	25-17
3-أسباب سقوط الأندلس(غرناطة)897هـ/1492م	34-26
4-أوجه صرف الموارد المالية الحفصية	42-35
5-منطقة سطيف في كتب الرحلة الجغرافية في العصر الوسيط	52-43
6-مؤسسة البريد ودورها الأمني عند المسلمين في العصر الوسيط	64-53
7-منطقة سكيكدة في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب خلال العصر الوسيط	72-65
8-عصر إمرة الأمراء وأثرها على الدولة العباسية (324-334هـ/935-945م)	81-73
9- فقه النوازل وتكريس الشرعية السياسية بالمغرب الأوسط	94-82

خاتمة 95-97
فهرس المحتوى 98